تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية

تأليف

أ.د. عطية القوصي

أستاذ التاريخ الإسلامي

كلية الآداب

جامعة القاهرة

مكتبة دار النهضة العربية

١٩٩٢ - ١٩٩٣ م

المصادر والمراجع

المصادر العربية المخطوطة :

العتبى (أبو نصر محمد) ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م :

« اليمينى فى شرح أحوال السلطان يمين الدولة » ،

مخطوطة - بدار الكتب المصرية ، رقم ١٧تاريخ

- العينى (بدر الدين محمود) ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥م :

« تاريخ سبكتكين » ،

مخطوطة بدار الكتب ، رقم ٢٨٣٨تاريخ

- الواقدى (محمد بن عمر) ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م :

« فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان »

مخطوطة بدار الكتب، رقم ١٩٠٤ تاريخ

المصادر العربية المطبوعة :

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ١٣جزء طبعة بولاق ١٣٤٧هـ .
- ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية .
- البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق .
- البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية .

السهمى (أبو القاسم حمزة) ت٤٢٧هـ « تاريخ جرجان » .

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ١٠ أجزاء .

المصادر الفارسية المطبوعة :

- ابن اسفنديار (بهاء الدين محمد بن حسن) ، تاريخ طبرستان ، تحقيق عباس اقبال ، طهران ١٣٢٠هـ
- البيهقى (أبو الفضل محمد بن حسين) : تاريخ البيهقى ، تحقيق يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٨٢
- الترشخى (أبو بكر محمد بن جعفر) ت ٣٤٨هـ: « تاريخ بخارى »، ترجمة أمين بدوى.
- نظام الملك (أبو على الحسن بن على) ت ٤٨٥هـ: « سياسة نامة » ، ترجمة السيد محمد الفزاوى .

المراجع العربية :

- أحمد الشريف وحسن محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى .
- أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ، تاريخ بخارى ، مترجم ، تأليف ارمنييوس فامبرى .
- بارثولد : تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، تاريخ الترك فى آسيا ، ترجمة أحمد السعيد سليمان .
- براون : تاريخ فارس ،ترجمة ابراهيم الشواربى .
- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣
- حسن أحمد محمود : تاريخ الاسلام فى آسيا الوسطى .
- شعبان ربيع : تاريخ إيران من العتح العربى إلى ظهور السلاجقه .
- عبد النعيم حسانين : سلاجقة إيران والعراق .
- عصام الدين عبد الرؤف : الدول الاسلامية المستقلة فى الشرق ، دار الفكر العربى

١٩٨٧ .

فتحى أبو سيف : خراسان ، تاريخها السياسى من سقوط الطاهرين إلى بداية الغزنونيين ،القاهرة ١٩٨٨ .

- لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة كوركيس عواد ، بغداد ١٩٠٤ .
- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق .
- مسعود أحمد مصطفى : أقاليم الدولة الاسلامية ، القاهرة ١٩٩٠ .

المراجع الفارسية :

- ابراهيم باستانى ياريزى : يعقوب بن الليث الصفار ، ترجمة فتحى الريس
- رشيد ياسمس : تاريخ إيران ، طهران ١٣٠٩هـ
- شاهين مكاريوس : تاريخ إيران
- صديق مير محمد : يعقوب ليث صفارى أريانا .
- عباس اقبال : تاريخ إيران أز صدر الاسلام تا اسيلآى مغول وطهران ١٣١٨هـ .
- غلام رضا أنصافيور : ساخت دولت درايران أز اسلام تايورش مغول .

رسائل جامعية لم تنشر :

- اسامة محمد فهمى: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى الدويلات الفارسية المستقله عن الدولة العباسية من مستهل القرن الثالث إلى سقوط السامانيين ، دكتوراه من كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٩١

المراجع الأجنبية :

- Barthold , W : History of Turkestan .
- Bosworth , C : The Medieval Hisoiry of Iran .
- Brown , E :AlitenraryHistory of Persia From the Earliest Times until Firdowsi .
- Cambridge History of India .
- Cambridge History of Iran .
- Defremery : History des Samanides .
- Habib Mohmaud : Sultan Mohmaud of Ghazna .
- Malco Im , M : The History of Persia .
- Nolde Ke : Sketches From Fastern History .
- Sykes , P : History of Persia .

العصر العباسي الثاني (٢٣٢- ٦٥٦ هـ)

تميز العصر العباسى الثانى (٢٣٢- ٦٥٦ هـ) بظاهرة قيام الدول المستقلة التى استقلت عن الدولة العباسية التى كانت تنتظم فيها بلاد العالم الاسلامى جميعها فى المشرق والمغرب إبان قوتها فى عصرها الأول . وذلك وبسبب ضعف خلفائها فى هذا العصر الثانى وبسبب استبداد قواد الترك بها وزيادة نفوذهم .

وترجع بدايات ظهور هذه الدول المسقلة إلى العصر العباسى الأول إلا أنها لم تصبح ظاهرة عامة إلا فى العصر الثانى . ولم تقتصر الدول المستقلة على جهة دون أخرى من العالم الاسلامى بل عمت المشرق والمغرب على السواء على أن ظهورها فى المغرب كان أسبق من ظهورها فى المشرق . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن المغرب الاسلامى كان مركز القوة للدولة االآموية التى أسقطتها الدولة العباسية ، بينما كان المشرق الاسلامى مركز المعارضة للحكم الأموى .

فلما نجحت الثورة العباسية بقوة المشرق ، تبادلا جناحا العالم الاسلامى دوريهما فانتقل مركز المعارضة للحكم العباسى إلى بلاد المغرب ونزحت إليه ذات القوى التى طالما عارضت حكم بنى أمية وهم الخوارج والعلويون . بينما تبادل العباسيون والأمويون دوريهما فأصبح العباسيون فى مقعد الخلافة والأمويون إلى صفوف المعارضة .

وإذا كان المغرب الاسلامى قد سبق إلى قيام الدول المستقلة فسرعان ما لحق به المشرق الاسلامى وذلك نتيجة ازدياد نفوذ قواد الأتراك وضعف الخلفاء

العباسيين إلى الدرجة التى مكنت الطامعين من القواد من انتزاع أنحاء، استقلوا بها عن دولة الخلافة .

ويعتقد بعض المؤرخين أن ظهور الدول المستقلة فى المشرق الاسلامى يرجع إلى استياء العناصر التى فقدت نفوذها فى العصر العباسى الثانى كالعرب والفرس . وواقع الأمر أ ن الدولة العباسية لم تُرضِ العرب ولا الفرس . فالعرب لم يقبلوا أن يزاحمهم الفرس ثم الأتراك فى مكانتهم السياسية التى كانت لهم فى العصر الأموى . كذلك لم يرض الفرس عن هذا الحد من النفوذ الذى وصلوا اليه وإنما كانوا يطمعون فى المزيد انطلاقا من الدور الذى أسهموا به فى إنجاح الثورة العباسية واعتقادهم بأنهم أصحاب الفضل الأكبر فى وصول العباسيين إلى مقعد الخلافة كذلك لم يرض الفرس عن نكب خلفاء العباسيين لزعمائهم أمثال أبى مسلم والبرامكة وبنى سهل . ولذلك كان سخط العرب والفرس على العباسيين قديما وقبل أن يتزايد نفوذ الترك بوقت غير قصير . وقد أظهروا هذا السخط فى ثورات عديدة لم يقدر لها النجاح لما كانت عليه الخلافة العباسية من قوة فى عصرها الأول مكنتها من اخماد تلك الثورات . فلما ضعفت الخلافة لم تستطع التصدى لتلك النزعة الاستقلالية التى تمخض قيامها عن ظهور عديد من الدول المستقلة في المشرق الاسلامى . وقد تميزت الدول التى استقلت فى المشرق الاسلامى عن مثيلاتها فى المغرب بولائها للخلافة وحرصها على أن تعترف الخلافة بشرعيتها وأن تبارك قيامها .

وإذا كانت الخلافة قد أحسنت صنعاً بالاعتراف بتلك الدول المستقلة فانها قد استفادت بالمقابل من ذلك أجل الفائدة ، فإن قيام هذه الدول التى اعترفت بسلطان الخلافة الروحى وحرصت علي الولاء واستمرار التبعية المذهبية والروحية لها هو الذى مد فى عمر الخلافة العباسية نفسها إلى منتصف القرن السابع الهجرى وأخر سقوطها بعد آن هرمت ودب فيها الضعف والوهن .

وقبل أن نتكلم على هذه الدول المستقلة يستحسن أن نشير بإيجاز إلى سوء حال الخلافة العباسية فى عهدها الثانى واستبداد الأتراك بأمور الخلافة والظروف التى أدت إلى ذلك .

والعنصر التركى هو أحد العناصر الذى ظهر أيام حكم العباسيين ، وكان له دور بارز فى تاريخ الدولة العباسية شأنه فى ذلك شأن العرب والفرس وهما العنصران الرئيسيان اللذان كان يتكون منهما شعب الدولة العباسية .

وكان موطن الترك الذين ظهروا فى العصر العباسى الأول بلاد ما وراء النهر (خلف نهر سيحون)، وقد فتُحت هذه البلاد فى العهد الأموى آيام خلافة الوليد بن عبد الملك على يد الفاتح العربى العظيم قتيبة بن مسلم الباهلى (٨٦-٩٦هـ)، وانتشر الاسلام فيها والثقافة العربية طوال حكم الأمويين .

وقد تدرج العنصر التركى فى الظهور بالدولة الاسلامية ، فظهر الأتراك فى أواخر العهد الأموى فى بيوت سادات العرب على شكل خدم ، وصار أمراء العرب يجلبون من بلاد الأتراك الجوارى والغلمان وشجعهم على ذلك ما عُرف

عنهم من تميز بالجمال وقوة البنيان وحسن التكوين والشجاعة والفروسية . ثم أخذ العنصر التركى طريقه إلى البلاط العباسى فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور . كذلك إقتنى الخليفة المأمون أعداداً منهم وأدخلهم فى حرسه الخاص .

وكان هؤلاء الأتراك يجلبون إلى الدولة الاسلامية عن طريق الشراء لمن وقع منهم في الأسر من أسواق النخاسة ، وقد كانت مدينة سمرقند من أشهر أسواق النخاسة فى العالم آنذاك . كذلك كانت أعداد منهم تفد إلى الخلفاء العباسين مع الهدايا التى يرسلها الولاة على بلاد ما وراء النهر . كما هاجرت بعض القبائل التركية من يلادها إلى الأمصار الاسلامية .

وقد إزداد عدد الأتراك فى عهد خلافة المعتصم (٢١٧-٢٢٧هـ)، لأن المعتصم لم يكن يثق لا فى الجند العرب ولا فى جند الفرس لكثرة الاضطرابات التى كانوا يثيرونها فهداه تفكيره إلى أن يستعين بعنصر الأتراك ، خاصةً وإذا ما عرفنا ميله إلى هذا العنصر لأن أمه كانت جارية تركية تسمى ماردة ، وكان فى طباعه كثير من طباع هؤلاء الأتراك من القوة والشجاعة والاعتداد بالقوة الجسدية ، فدعته كذلك العصبية التركية إلى التفكير فى الاستناد على العنصر التركى .

وبعث المعتصم فى طلب الأتراك من فرغانة وأشروسنه واستكثر منهم حتى بلغ عددهم فى عهده سبعين ألفا . وقد حرص المعتصم على أن تبقى دماء هؤلاء

الأتراك تركية خالصة فجلب لهم نساء من جنسهم زوجهن لهم ومنعهم أن يتزوجوا من غيرهن . ولم يكن جميع هؤلاء الأتراك مسلمين ، بل كان فريق منهم من المجوس اعتنقوا الاسلام حين استقدمهم المعتصم. وقد أنفق المعتصم عليهم بسخاء واعتنى بزيهم فألبسهم الديباج والمناطق المذهبة ، واتخذ لهم ثكنات يعيشون فيها حياتهم العسكرية. وقد اشتهر من هؤلاء الأتراك قواد قربهم المعتصم إليه ورفع من أقدارهم نخص بالذكر منهم : الأفشين وأشناس وايتاخ .

وقد خص المعتصم الأتراك بالنفوذ فقلدهم قيادة الجيش وجعل لهم مركزاً فى مجال السياسة والحرب ، كما أسقط سنة ٢١٧هـ العرب من الديوان وأحل مكانهم الجند الأتراك وآثرهم على الفرس والعرب . فشعروا بقوتهم ، لكنهم أساءوا استعمال هذه القوة فآذوا الناس فى شوارع بغداد مما جعل الناس يضجون منهم ويشكونهم للمعتصم الذى إبتنى لهم مدينة جديدة جمعهم فيها هى مدينة سرمن رأى (سامرا) سنة ٢٢١هـ . وكان موقع هذه المدينة الجديدة على شرق نهر دجلة يبعد عن بغداد بستين ميلاً من الشمال .

ولما ولى الواثق الخلافة سنة ٢٢٧هـ ، حذى حذو المعتصم فى الاكثار من الأتراك والاعتماد عليهم حتى صارت فى قبضتهم معظم مناصب الدولة العليا . وقام الواثق بإستخلاف القائد التركى أشناس على السلطنة وألبسه تاجاً مرصعاً بالجواهر ، كما أسند إليه أعمال اقليم الجزيرة وبلاد الشام ومصر ، فولى على هذه الولايات نواباً أتراكاً عنه وظل مقيماً بسامرا إلى جوار الخليفة حتى يكون فى

مركز الأحداث . وعهد الواثق إلى القائد التركى إيتاخ بولاية خراسان والسند وازداد نفوذ الأتراك فى الدولة العباسية عقب وفاة الواثق ٢٣٢هـ ، وأصبحوا يتحكمون فى الخلفاء ويتدخلون فى توليتهم وعزلهم . فلما توفى الواثق دون آن يعهد إلى أحد بالخلافة بعده، اجتمع قواد الأتراك واختاروا جعفر بن المعتصم خليفةً ولقبوه بالمتوكل على الله . ولقد وقع الخلاف بين قواد الأتراك والمتوكل فتآمروا على قتله مع إبنه المنتصر الذى كان معادياً لأبيه وكان أبوه على وشك عزله من ولاية العهد وتعيين أخيه الأصغر المعتز دونه . ونجح الأتراك فى قتل الخليفة المتوكل بتآمر من إبنه المنتصر سنة ٢٤٧هـ ، وبايعوا المنتصر بالخلافة بإسم المنتصر بالله .

وزاد نفوذ الأتراك بقتل المتوكل وتدخلهم فى تولية المنتصر ، وإجبار المنتصر على عزل أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد . وسرعان ماوقع الخلاف بين المنتصر والقواد الأتراك فتخلصوا منه بالسم ، وباعيو أحمد بن محمد بن المعتصم سنة ٢٤٨هـ خليفة ولقبوه بالمستعين بالله ، واستأثروا بالسلطة دونه .

وازداد نفوذ قواد الأتراك فى عهد خلافة المستعين ، ولمأ ضاق بهم ذرعاً غادر سامرا إلى بغداد سنة ٢٥١هـ ، فلحق به جماعة من قواد الأتراك سألوه العودة إلى سامرا فرفض ، ولمأ يئسوا من عودته بايعوا ابن عمه المعتز بالله بالخلافة . وبذلك صار هنالك: خليفتان أحدهما فى سامرا و الآخر فى بغداد ، ووقع الخلاف بينهما إلى أن انتهى الأمر بانتصار المعتز سنة ٢٥٢ ه ، ورحيل

المستعين إلى واسط وإرسال قواد الأتراك من يغتاله هناك .

ازداد الخلل فى الدولة فى عهد المعتز بسبب إشتداد نفوذ الأتراك ، ولم يكن للخليفة آنذاك من الحكم سوى الاسم والشكل ،أما السلطة الفعلية فكانت فى يدهم . وبعد مضى ثلاث سنوات على خلافة المعتز ثار الجنود بسبب عدم تسلمهم رواتبهم ، ولماّ عجز عن دفعها لهم ، أخرجوه عنوة من قصره وأهانوه أشد الاهانة واضطروه أن يتنازل عن الخلافة ، فتنازل ، ثم حبسوه فى دار حتى توفى بها سنة ٢٥٥هـ .

وبرغم رغبة هذا الخليفة فى الاصلاح ، واقتدائه بالخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ، إلا أن قواد الأتراك سلبوه سلطته ، ولماّ أراد استرداد هذه السلطة قاتلوه حتى هزموه وخلعوه من الخلافة وحبسوه حتى مات فى الحبس سنة ٢٥٦هـ.

وبايع قواد الأتراك ، بعد ذلك ، أحمد بن المتوكل ، ولقبوه بالمعتمد على الله ولم يكن للمعتمدمن السلطة فى شئ بل وكل الأمر لأخيه الموفق طلحة الذى تصدى للقضاء على أخطر الثورات التى تعرضت لها الدولة العباسية آنذاك وهى ثورة الزنج . وقد ولى المعتمد أخاه أبا الموفق طلحة سنة ٢٦١هـ ولاية العهد بعد إبنه جعفر الذى لُقب بالمفوض إلى الله . وتوفى الموفق طلحة سنة ٢٧٨ ه ، فاجتمع كبار القواد وبايعوا إبنه أبا العباس بولاية العهد بعد المفوض بن المعتمد ولقبوه بالمعتضد بالله ، فتحولت إليه سلطة أبيه وسار على سياسته فى اضعاف

نفوذ الخليفة المعتمد .

ولمّا مات المعتمد خلفه المعتضد فى الخلافة ، وعمل على توطيد نفوذ الخلافة ورفع شأنها وإضعاف نفوذ قواد الأتراك بقدر ما يستطيع .

ولمّا توفي المعتضد سنة ٢٩٩هـ ولى الخلافة بعده إبنه أبو محمد على ، الذى لقُب بالمكتفى بالله ، فسار سيرة أبيه فى ادارة شئون الدولة لكن فتن الاسماعيلية والقرامطة التى بدأت فى عهد أسلافه تفاقم خطرها في أيامه ، فعادت الخلافة إلى ضعفها الأولى وعاد قواد الأتراك إلى قوتهم .

وكان قواد الأتراك قد سئموا اختيار الخلفاء القادرين الأكفاء ، كالمعتمد والمعتضد والمكتفى ، فعدلوا عن هذه الطريقة باختيار أمراء العباسين الضعاف للخلافة حتى تُصبح السلطة والنفوذ كاملين فى أيديهم . وطال تفكيرهم بعد موت المكتفى فى إختيار شخص الخليفة ، وكان عبد الله بن المعتز فى مقدمة المرشحين للخلافة وهو كفء وأديب ، فعدلوا عنه إلى جعفر بن المعتضد ، وكان إذ ذاك فى الثالثة عشرة من عمره ، وبايعوه بالخلافة لأنهم وجدوه أسلس قياداً من إبن المعتز، ولقبوه بالمقتدر.

واشتغل هذا الخليفة باللهو واللعب وترك أمور الدولة لقواد الأتراك، ولكن قواد الأتراك ثاروا عليه آخر الأمر وعزلوه من الخلافة وبايعوا محمد بن المعتضد بها ولقبوه بالقاهر بالله، غير أن الجند ما لبثوا أن عزلوه حين ثاروا مطالبين برواتبهم وأعادوا المقتدر ثانية إلى الخلافة. وساءت أحوال الخلافة فى العهد

الثانى لحكم المقتدر وزاد نفوذ قواد الاتراك، وغلب على أمر الخليفة النساء والخدم، مما أدى فى النهاية إلى قتله، وزيادة اضطراب الأمور فى دولة الخلافة.

وفى سنة ٣٢٢ هـ آلت الخلافة إلى الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩هـ)، الذى عجز الوزراء فى عهده عن ادارة الدولة بسبب ازدياد نفوذ القواد الأتراك، فاستحدث هذا الخليفة وظيفة جديدة، بدل الوزارة، أسماها إمرةالأمراء ، إختار لها القائد التركى محمد بن رائق والى البصرة وواسط. لكن قواد الأتراك طمعوا فى هذه الوظيفة الجديدة فعزلوا عنها ابن رائق، وتولاها كل من البريدى وبجْكم والحسن ابن عبد الله بن حمدان وتوزون والين شيرزاد، وقد أخفق جميعهم فى اصلاح أحوال البلاد، وهو الهدف من انشاء هذه الوظيفة، ولم يكن لنظام إمرة الأمراء أى فائدة محققة للخلافة العباسية. فقد ازدادت أحوال البلاد سوءاً من جراء هذا النظام وزاد من تدخل قواد الأتراك وسلطتهم وأدى الى ضعف الدولة وزيادة تفتتها. ولقد استأثر حكام أقاليم الدولة بحكم أقاليمهم وأقاموا لهم دول مستقلة، حتى بلاد العراق قلب الدولة العباسية، خضعت آنذاك للتسلط البويهى ثم بعد ذلك للتسلط التركى السلجوقى حتى نهايتها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ.

هذا عرض سريع لأحوال الدولة العباسية فى العصر العباسى الثانى، وهو العهد الذى ظهرت فيه الدول المستقلة فى المشرق والمغرب منفصلة عن دولة الخلافة وقد أنتهز القائمون بأمر الاستقلال فيها الحالة السياسية والاقتصادية السيئة التى عاشت فيها دولة الخلافة فى عهدها الثانى.

والدول التى استقلت فى المغرب الاسلامى هى دول:

١ - دولة الأغالبة فى القيروان (تونس).

٢ - الدولة الرستمية الاباضية فى تاهرت (الجزائر).

٣ - دولة بنى مدرار (بنى واسول) الصُفرية فى سجلماسة (موريتانيا). (شمال وادى درعة جنوبى تلمسان على طرف صحراء المغرب).

٤ - دولة الأدارسة العلويين فى المغرب الأقصى.

٥ - الدولة الطولونية والاخشيدية فى مصر ثم الدولة الفاطمية.

٦ - الامارة الأموية المستقلة فى الاندلس ثم الخلافة الأموية.

الحديث عن هذه الدول المستقلة سيكون ضمن نطاق الحديث فى مادة المغرب والاندلس أما فى هذا المقام فسوف يقتصر الحديث على الدول المستقلة عن الخلافة العباسية المشرق الاسلامى.

الدول المستقلة فى المشرق الاسلامى

أ - الدول العربية:

١ - الدولة الحمدانية.

٢ - الدولة المرداسية.

٣ - الدولة العقيلية.

ب - الدول الفارسية:

١ - الدولة الطاهرية.

٢ - الدولة الصفارية.

٣ - الدولة السامانية.

٤ - الدولة البويهية.

جـ - الدول التركية:

١ - الدولة الغزنوية.

٢ - دولة الأتراك السلاجقة.

٣ - الدولة الخوارزمية.

٤ - الدولة الغورية.

٥ - سلطنة دلهى الاسلامية.

أولاً: الدول العربية

١ - الدولة الحمدانية
(٣١٧ - ٣٩٤هـ/٩٢٩ - ١٠٠٣م)

ينتسب الحمدانيون الى العرب العدنانية، وهم بطن من تغلب بن وائل أعظم بطون ربيعة بن نزار. وكانت مواطنهم فى الجزيرة فى بادية الشام بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين، وتعُرف ديارهم هذه بديار ربيعة.

وقد اعتنق بنو تغلب النصرانية لمجاورتهم الروم. ولقد تحمست قبيلة تغلب لقومها العرب وحاربت معهم وشاركتهم فى فتح العراق تحت راية المثنى بن حارثة الشيبانى سنة ١٣هـ، كما انضموا سنة ١٦هـ لجيش سعد بن أبى وقاص وحاربوا معه فى تكريت.

ولقد دخلت قبيلة تغلب فى الاسلام وظل جزء منها على المسيحية، وكانوا مشايعين لبنى أمية وشاركوا فى حروبهم ضد الخوارج سنة ٧٧هـ/٦٩٦م.

وفى العصر العباسى الأول ضعف شأن قبيلة تغلب، شأنها فى ذلك شأن بقية القبائل العربية. وكان ذلك نتيجة للسياسة التى اتبعها العباسيون حيال العناصر العربية ولكن القبائل العربية ما لبثت أن نهضت فى العصر العباسى الثانى، الذى شهد ضعف دولة العباسيين وتحكم القواد الأتراك فيها وقيام الدول المستقلة. ولقد شجعت حالة الاضطراب التى كانت تمر بها الجزيرة الفراتية بنى

تغلب على التمرد على الخلافة العباسية واقامة دولة مستقلة لهم عن سلطانها. وكانت تلك المنطقة فى ذلك الوقت مفتقرة الى سلطة مركزية قوية تستطيع أن تواجه الدولة البيزنطية التى حدثت لها فى ذلك الوقت حركة احياء وانتعاش واستعادت بعضا من قوتها. ومن ثم كان قيام الدولة الحمدانية، كدولة حاجزة، فى منطقة اقليم الجزيرة ضرورة ماسة استدعتها ظروف ضعف الدولة العباسية فى عصرها الثانى وعجزها عن حماية هذه المنطقة الحدودية من الخطر البيزنطى.

وكانت الدولة البيزنطية قد حدثت لها صحوة فى عهد الأسرة المقدونية منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى، ونشطت لمهاجمة البلاد الاسلامية واعتزمت استرداد بلاد الشام أو على الأقل تدمير القوة الاسلامية فى اقليم الثغور والحد من نشاطها. وقد قام باسيل المقدونى، بعد أن اعتلى عرش بيزنطة سنة ٢٥٤هـ/٨٦٧م باقامة حكم البيت المقدونى الذى أعاد لبيزنطة قوتها وارادت بهذه القوة أن تضعف قوة المسلمين وتستولى على بلادهم الحدودية. وظهرت أطماع المقدونيين واضحة فى عهد الامبراطور نقفور فوكاس (٣٥٢-٣٥٩هـ/٩٦٣-٩٦٩م) وعهد خلفه يوحنا تزيمكيس، اللذان قام بشن عدوانهما على المنطقة السورية الساحلية وعلى منطقة الفرات والجزيرة.

كما أن العنصر العربى كان قد انتعش فى العصر العباسى الثانى لما رأى ضعف خلفاء العباسيين وتحكم قواد الأتراك فيهم وفى دولتهم، وانتفاض كثير من الحكام الفرس والترك على دولة الخلافة وانشائهم دولا مستقلة لهم، قاموا هم

بالمثل بعد أن لمسوا فى أنفسهم القدرة الكافية على تأسيس إمارة مستقلة لهم فكانت الدولة الحمدانية.

ولقد بدأ الحمدانيون حركة استقلالهم عن الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، فذلك حين قام حمدون الحمدانى، جد الحمدانيين، بدور هام فى الحوادث السياسية التى وقعت فى الموصل فى ذلك العام لكن خلافا وقع بينهم وبين الخليفة العباسى المعتضد سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م حول قلعة ماردين جعل حمدون يفر من أمام الخليفة لبعض الوقت، لكن سرعان مازال هذا الخلاف بين الخليفة وحمدون، ومنذ ذلك الوقت بدأت شهرة الحمدانيين. فاشتهر الحسين بن حمدان بن حمدون فى حربه مع القرامطة، ولكن خلافا بينه وبين الخليفة العباسى المقتدر أدى الى سجنه، وقد استمر الحسين فى سجنه حتى وفاته سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م.

ولما تولى الخليفة العباسى المكتفى بالله الحكم رأى أن يستعين بجهود الحمدانيين فعين ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبى على الموصل سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م حتى سنة ٣١٧هـ وقد أحسن أبو الهيجاء السيرة فى أهلها، وأمنت البلاد فى عهده، وقد ساعده فى حكمها ابنه الحسن ابتداءً من سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م، الذى تمكن من بسط سيطرته على الجزيرة كلها وعلى شمال سوريا،أى على منطقة ديار بكر وديار ربيعة، واحتفظ بنفوذه بها من سنة ٣١٧هـ حتى وفاته سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م.

وفى سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م، اضطر الخليفة العباسى المتقى لله الى الفرار الى الموصل مع ابن رائق أمير الأمراء تحت ضغط الظروف السياسية فى بغداد. وقد استغل الحسن بن حمدان الفرصة وتخلص من ابن رائق، ثم ذهب مع الخليفة العباسى الى بغداد حيث تولى الحسن بن حمدان هناك منصب أمير الأمراء، وخلع عليه الخليفة لقب ناصر الدولة وعلى أخيه على لقب سيف الدولة. ويمكننا ان نقول أن ناصر الدولة الحمدانى وأخيه سيف الدولة، قد استغلا الظروف السياسية التى كانت تمر بها الدولة العباسية أيما استغلال، فقد اتفق ناصر الدولة مع العباسيين فى سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣ م على أن تكون البلاد من مدينة الموصل إلى الشام ملكاً له.

هذا وقد كان سيف الدولة الحمدانى يطمع فى ولاية مستقلة يحكمها، وصرح بذلك لأخيه ناصر الدولة، فقال له: « الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك » وبدأ سيف الدولة يعمل على استغلال الظروف التى كانت تمر بها حلب، فقد راسله الكلابيون ووعدوه بتسليم حلب إليه، ورأى بثاقب بصره أن يستغل الخلاف القائم بين الكلابيين وضعف مقاومة واليها أبى الفتح، فسار إلى حلب ودخلها يوم الأثنين الثامن من ربيع الأول سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م. وبدخول سيف الدولة حلب، وقع الحمدانيون فى عداء شديد مع الاخشيد، ونشبت عدة حروب بينهما انتهت باتفاق بين الطرفين على أن تبقى حلب وحمص وانطاكية لسيف الدولة.

لقد كانت دولة الحمدانيين فى حلب مستقلة استقلالا تاماً عن الدولة

العباسية ماعدا الخطبة، وهى تمثل الولاء الروحى فقط، وكانت الدولة العباسية راضية منهم بذلك، لأن الحمدانيين كفوها مؤنة قتال البيزنطيين فى وقت لم يكونوا يستطيعون فيه القتال، وحملوا عنها عبء الدفاع عن الثغور وحماية الاسلام وحماية بلاد المسلمين من الوقوع تحت سيطرة بيزنطة المسيحية.

وقد حاول الحمدانيون، بعد أن عظم نفوذهم بالموصل، الاستئثار بالسلطة فى بغداد والقضاء على النفوذ التركى والفارسى فيها فى عهد الخليفة المتقى، لكن الأتراك، وعلى رأسهم توزون، تغلبوا على ناصر الدولة بن حمدان.

ولما دخل البويهيون الفرس بغداد سنة ٣٣٤هـ، لم تستقر العلاقة بينهم وبين الحمدانيين على حال فقد كانت سياسة بنى بويه ترمى إلى الحد من نفوذ الحمدانيين، ومن ثم استمر الخلاف والقتال بين الطرفين، فسار معز الدولة البويهى الى الموصل ونصيبين وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ٣٤٧هـ، واضطر ناصر الدولة الى الرحيل الى حلب حيث كان أخوه سيف الدولة مستقلاً بها منذ سنة ٣٣٣هـ، وبعث الى معز الدولة فى طلب الصلح فقبل معز الدولة البويهى الصلح وأبرم الصلح مع ناصر الدولة على أن يضمن أخوه سيف الدولة الأموال الواجب على أخيه أداؤها. وبذلك تيسر لناصر الدولة الحمدانى العودة الى ولاياته التى كان يحكمها بإقليم الجزيرة سنة ٣٤٨هـ.

ظل الصلح بين البويهيين وناصر الدولة الحمدانى قائما حتى سنة ٣٥٢هـ، وفى هذا العام طلب معز الدولة البويهى من ناصر الدولة أن يزيد فى الأموال التى

يرسلها اليه، فلم يجبه ناصر الدولة الى طلبه فقامت الحرب بينهما ، واضطر ناصر الدولة الى الهرب بسبب ضعف قواته أمام قوات البويهيين، فاستولى البويهيون على الموصل ونصيبين وغيرهما من بلاد ناصر الدولة.

لكن أبا تغلب بن ناصر الدولة أرسل الى المعز البويهى يطلب الصلح والتعهد بدفع المال المقرر على أبيه فوافقه معز الدولة على ذلك، واسترد بمقتضى ذلك، الحمدانيون الموصل وديار ربيعة. ولقد أخذ نفوذ الحمدانيين بالجزيرة فى الضعف بعد وفاة ناصر الدولة الحمدانى سنة ٣٥٨هـ، وذلك بسبب اختلاف أبنائه على أنفسهم. وقد انقسم أبناء ناصر الدولة الى فريقين: فريق يناصر حمدان بن ناصر الدولة وفريق آخر يناصر أخاه أبا تغلب، وتطور النزاع بين الطرفين الى حرب بينهما انتهت بانتصار أبى تغلب على أخيه حمدان سنة ٣٦٠هـ.

وفى عهد أبى تغلب تعرضت دولة الحمدانيين لهجمات الروم ووصول قواتهم الى نصيبين وديار بكر، كذلك استولى عضد الدولة بن ركن الدولة البويهى على الموصل وديار ربيعة وميافارقين.

وازداد ضعف الدولة الحمدانية بعد وفاة أبى تغلب سنة ٣٦٩هـ، فقد اغار الأكراد على بعض مدن اقليم الجزيرة فى أواخر القرن الرابع الهجرى. وفضلا عن ذلك فقد طمع رعاياهم من بنى عُقيل، الذين كانوا يدفعون الاتاوة لهم ويخرجون معهم فى الحروب، فى بلاد الدولة الحمدانية بعد ان احسوا بضعف حكام الحمدانيين. فاستولى أمير بنى عقيل أبو الدرداء محمد بن المسيب على نصيبين

سنة ٣٧٩هـ، وعلى الموصل فى العام التالى، وقد أقره البويهيون عليهما، ثم عزلوه عنهما سنة ٣٨٢هـ، غير أن أخاه المقلد بن المسيب تمكن من استعادة الموصل سنة ٣٨٦هـ، وأسس بها دولة عربية أخرى مستقلة هى دولة العقيليين (بنى عقيل) التى ظلت قائمة وهى تنعم بالاستقلال حتى سنة ٤٨٩هـ.

هذا عن حال دولة الحمدانيين فى الموصل، أما دولتهم فى حلب والتى اقامها سيف الدولة واستقل بها استقلالا شبه كاملا واعترف للخلافة العباسية بالسيادة الاسمية فقط، لكنه لم يدفع لهم أية مقررات مالية لأنه اعتبر نفسه فى جهاد مع الروم أعداء الاسلام. ولقد طمع سيف الدولة الحمدانى فى ضم دمشق الى حوزة دولته فدخل بسبب ذلك فى حرب مع والى مصر محمد بن طغج الاخشيد، الذى قلده الخليفة العباسى ولاية مصر والشام. وانتهت هذه الحرب بين الاخشيد وسيف الدولة بالصلح فى ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ، وكان من شروط هذا الصلح أن يكون لسيف لدولة الحمدانى حلب وما يليها من بلاد الشام شمالا، وأن يكون للاخشيد دمشق واعمالها وان يدفع الاخشيد لسيف الدولة مبلغا محددا من المال كل عام.

ويمكن القول بأن سيف الدولة الحمدانى أصبح، بعد عقده هذا الصلح مع الاخشيد حاكما مستقلا فى شمال سوريا. وقد ارتضى الاخشيد بشروط هذا الصلح، رغم انتصاره على الحمدانيين، الا أنه خاف أن تطول الحرب بينهما فى منطقة هى اصلا منطقة نفوذ الحمدانيين، كذلك قدر الاخشيد أن وجود الحمدانيين على حدود بيزنطة سوف يحمل عنهم عبء مواجهة القوات البيزنطية

فى المنطقة الحدودية.

على أن سيف الدولة الحمدانى ما لبث أن طمع فى ضم دمشق اليه بعد وفاة الاخشيد، فزحف اليها بجيشه وسقطت فى يده بعد استسلام حاكمها الاخشيدى. لكن كافور الاخشيدى الذى تولى الوصاية فى مصر على أنوجور بن الاخشيد، سار على رأس جيشه ومعه الأمير الاخشيدى ودخل فى حرب مع الحمدانيين انتهت بهزيمة سيف الدولة، فهرب الى حمص، وطارده الاخشيديون الى حلب فهرب الى الرَّقة.

ثم دخل الطرفان فى مفاوضات انتهت بنفس شروط الصلح الأولى بين الاخشيد وسيف الدولة عدا المخصص المالى فان الاخشيديين رفضوا دفعه لسيف الدولة.

وأهم ما يتميز به عهد حكم سيف الدولة، هو حربه مع البيزنطيين، فلقد وجه الأمير العربى الحمدانى كل اهتمامه إلى الجهاد ضد البيزنطيين بعد ان استقرت له الأمور فى حلب وجعل شغله الشاغل الدفاع عن ثغور الدولة الاسلامية مع البيزنطيين. كذلك بذل جهده ليحول دون تقدم الروم إلى الحدود الشمالية لدولته، حتى قيل أنه غزى بلادهم المجاورة لبلاده أربعين غزوة، انتصر فى بعضها ولم يحالفه النصر فى البعض الآخر. ولولا الجهود التى بذلها هذا القائد والحاكم المسلم الشجاع فى صد غارات البيزنطيين لسقطت بلاد الشام فى أيديهم فى غفلة العباسيين. وقد رُوى ان سيف الدولة الحمدانى جمع من الغبار

الذى أصابه فى غزواته ما صنع منه لبنة بقدر الكف، أوصى بأن يوضع خده عليها فى لحده.

توفى سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ، وخلفه من بعده فى الحكم ابنه سعد الدولة، الذى ضعفت الدولة فى عهده بسبب المنازعات الداخلية التى شملت البلاد بسبب الحكم، فضلا عن تهديد النفوذ الفاطمى فى الشام آنذاك لدولته. وبعد ان توفى سعد الدولة سنة ٣٨١هـ، خلفه ابنه سعيد الدولة أبو الفضائل، الذى حاول الفاطميون فى عهد العزيز بالله الفاطمى فى عهده الاستيلاء على حلب، لكنها امتنعت عليهم ولم تستطع جيوشهم اجتياحها وظلت صامدة فى يد الحمدانيين.

ولقد تعرض سعيد الدولة لمؤامرة مولاه لؤلؤ الذى طمع فى الاستئثار بحكم حلب فقام لؤلؤ بقتل سعيد الدولة وانتزاع الولاية لنفسه من أبناء سعيد الدولة: أبى الحسن على وأبى المعالى شريف وحكم باسمهما. وعمل لؤلؤ على نقل الحكم من الحمدانيين إلى أسرته، فقبض على ابن سعيد الدولة مع سائر أفراد البيت الحمدانى وأرسلهم إلى الخليفة الفاطمى بالقاهرة. وأخذ لؤلؤ يتودد إلى الفاطميين حتى يتقى خصومتهم وحربهم له، فقام بحذف إسم الخليفة العباسى من الخطبة ودعا للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى، وبذلك امتد سلطان الفاطميين إلى حلب واستطاعوا القضاء على النفوذ الحمدانى فيها.

٣ - الدولة المرداسية
(٤١٤ - ٤٧٢هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٧٩م)

المرداسيون هم فرع من بنى كلاب، وبنو كلاب بطن من عامر بن بكر بن هوازن من عرب الشمال، وكانت مساكنهم فى الجاهلية بجوار يثرب، ثم انتقلوا، بعد الاسلام، إلى اليمامة حيث أسسوا دولة فيها، ومن اليمامة انتقلوا إلى الجزيرة الفراتية فاستقروا هناك.

وقد لعب بنو كلاب دوراً هاماً فى بلاد الشام فى العصر الأموى بحكم انتمائهم إلى عرب القيسية، عصبية الدولة الأموية، ويعتبر بنو كلاب من أشد العرب قوة وأكثرهم عددا، ولكن صفة البداوة متغلبة على طباعهم. وقد ازداد نفوذهم فى بلاد الشام فى عهد الدولة الاخشيدية حين قلد «محمد بن طغج الاخشيد، أحمد إبن سعيد الكلابى شيخ قبيلتهم الولاية على حلب، فاستدعى الأمير الكلابى أقرباءه وأهل قبيلته ليكونوا عزوة له فى ولايته، فازداد بذلك عددهم هناك وزاد نفوذهم.

ولقد استقل بنو كلاب بحكم حلب فى ظل حكم الدولة الحمدانية، ويمكننا ان نعتبرهم من رعايا الحمدانيين، لأنهم يدفعون لهم الأتاوات وينفرون معهم فى الغزوات. ولكنهم، كانوا بين الحين والآخر، يخرجون عن طاعة الحمدانيين ويعصونهم ويدخلون فى حروب معهم بسبب رغبتهم فى الحفاظ على استقلالهم واستقلال امارتهم. ولقد أوقع سيف الدولة الحمدانى بهم هزائم عديدة انتهت ببذلهم

الطاعة له. وللشاعر المتنبى قصيدتان يصف فيهما معارك بنى كلاب مع الحمدانيين، ونراه يشفع فيها لهؤلاء الثوار العرب الذين لم يأنفوا الذل أو الخضوع.

ولقد سيطر بنو كلاب، فى مطلع القرن الخامس الهجرى، على شمالى الشام بعد ان ضعف الحمدانيون وأخذ نفوذهم فى الزوال ودولتهم فى الانحدار، ولذلك استطاع صالح بن مرداس، حين سقطت الدولة الحمدانية، ان يعلن، على انقاضها، قيام الدولة المرداسية سنة٤١٤هـ/١٠٢٣م. وقد ظلت هذه الدولة المستقلة قائمة حتى سقوطها سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م.

وأول من تولى الامارة المرداسية، هو: صالح بن مرداس الكلابى (٤١٥-٤٢٠هـ/١٠٤٠-١٠٢٩م) ثم شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس (٤٢٠-٤٢٩هـ/١٠٣٠-١٠٤٩م)، ثم معز الدولة، ثمال بن صالح. بن مرداس(٤٢٩-٤٤٨هـ/١٠٣٨-١٠٥٢م)، ثم محمود بن نصر بن مرداس ٤٥٣ - ٤٦٧هـ.

ولقد توصل المرداسيون إلى تأسيس دولتهم فى حلب على يد زعيمهم صالح بن مرداس الذى نجح بسبب مساعدته للفاطميين، أيام حكم الخليفة الحاكم بأمر الله، فى أن يأخذ مدينة الرحبة منحة من الخليفة الفاطمى مقابل مساعدته وقومه فى محاربة مرتضى الدولة بن لؤلؤ، حاكم حلب آنذاك والخارج عن طاعة الخليفة الفاطمى. وكان لمساعدة بنى كلاب للخليفة الفاطمى أثرها فى بروز

كيانهم وذيوع صيتهم. ولقد جعل صالح بن مرداس من مدينة الرحبة نواة لدولة جديدة كان يفكر فى اقامتها ويتوسع منها إلى غيرها من بلاد الشام. وقد أدرك أنه لن يتمكن من ذلك الا اذا انحاز لاحدى الدولتين العباسية أو الفاطمية، فاختار الدولة الفاطمية، لأنها كانت الأقوى آنذاك والأغنى، فدعا للخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله من فوق منابر الرحبة، الأمر الذى جعل الحاكم يثق به فى تلك الفترة ويعتمد عليه وعلى مساعدته ضد ولاة حلب الذين كان يشك فى صدق ولائهم له ولدولته. فحرضَ الخليفة الفاطمى صالح بن مرداس على محاربة مرتضى الدولة ابن لؤلؤ، حاكم حلب، وقد جاء هذا التحريض على هوى الأمير المرداسى الذى كان يطمع فى ولاية حلب ووجدها فرصة مناسبة لتحقيق بناء دولته. فدخل صالح فى عدة معارك مع مرتضى الدولة لم تحسم الأمر بينهما. وقد تعرض آل مرداس، وعلى رأسهم صالح بن مرداس لخديعة مرتضى الدولة، الذى دعا شيوخهم إلى الاجتماع بهم لتسوية الأمر بينهما، فذهب إلى حلب حوالى سبعمائة رجل من رجالهم ومن بينهم صالح بن مرداس فما ان وصلوا حلب حتى قبض عليهم مرتضى الدولة وحبسهم فى احدى قلاعه (٤٠٢هـ/١٠١١م). ولم يكتف مرتضى الدولة بحبس صالح بن مرداس بل عزم على قتله، لكن صالحاً نجح فى الهرب من حبسه حيث اجتمع اليه أبناء قبيلته وقويت نفوسهم بخلاصه، وجرت معركة بين صالح ومرتضى الدولة انتصر فيها المرداسيون الذين قاموا بالقبض على مرتضى الدولة وأسره.

ورأى صالح بن مرداس ان من الأفضل له عقد صلح مع مرتضى الدولة

يطلق بمقتضاه من عنده من أسرى المرداسيين مع التعهد بارسال مائتى ألف دينار ومائة ثوب حلبى فى كل عام إلى صالح المرداسى، وبعد ان فك أسر مرتضى الدولة وعاد إلى حلب، وجد غلامه فتح يُعلن التمرد والثورة عليه، فيضطر مرتضى الدولة إلى الهرب إلى انطاكية، ويكاتب فتح الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ويُظهر طاعتة له.

ولقد انحاز صالح بين مرداس أيضاً إلى جانب الفاطميين، وقد كان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله يود أن تستمر علاقته الطيبة مع صالح بن مرداس ومع قومه من بنى كلاب ويرغب فى ولائهم له، وقد قام الخليفة الفاطمى بمنح صالح بن مرداس الأعمال والضياع التى تقرر مع مرتضى الدولة أن يعطيها له فأضافها إلى مدينة الرحبة واتسعت بذلك دولتة. كذلك منحه الخليفة الفاطمى لقب أسد الدولة، ورداً على ذلك دعا صالح للخليفة الفاطمى من فوق منابر بلاده.

وبعد أن توفى الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله وتولى الخلافة من بعده إبنه الضعيف الظاهر لإعزاز دين الله، الذى اضطربت الأحوال السياسية والاقتصادية فى عهده فى دولة الفاطميين، استغل صالح بن مرواس هذه الفرصة للإستيلاء على حلب والاستقلال عن الخلافة الفاطمية، وقد ساعده على ذلك اضطراب الأمور فى حلب ذاتها وتشجيع أهلها له بالقدوم إليها وقتها عندئذ عقد صالح بن مرداس تحالفاً مع أمراء العرب فى الشام مع سنان بن عليان الكلبى وحسان بن الجراح الطائى على اقتسام الشام بينهم على أن تكون المنطقة من

حلب إلى عانة له. وقد ضمن صالح بن مرداس، بهذا الاتفاق، محالفة القبائل العربية فى الشام على نصرتة. فاتجه قاصداً فتح حلب، وفاجأ نواب الفاطميين فيها واستولى على المدينة وعلى قلعتها وذلك سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م.

ولم يكتف صالح بن مرداس بدخوله حلب واستيلائه عليها، بل أراد أن يخضع لنفوذه المناطق التى حددت له حسب اتفاقه مع القبائل العربية الثلاث، فعمل على تملك البلاد بين بعلبك وعانة، ولم تأت سنة ٤١٦هـ / ١٢٠٥م حتى كانت كافة المناطق خاضعة لحكمه وضرب صالح بن مرداس سنة ٤١٧هـ دنانير خاصة له فى حلب.

ولم ترض الدولة الفاطمية عن تصرف ابن مرداس وأمراء العرب الآخرين، فقرر الخليفة الظاهر إستعادة السيطرة على البلاد التى استولوا عليها، فأرسل سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م جيشاً بقيادة قائده أنوشتكين الدُزبَرى، فسار صالح على رأس قواته من حلب إلى الأقحوانه، على نهير الأردن، حيث جرت معركة انتصر فيها الدزبرى على صالح بن مرداس وخليفة حسان بن الجراح. وقد قتل صالح فى المعركة واجتزت رأسه وأرسلت إلى الخليفة الفاطمى فى مصر، كما قتل إبنه الأصغر فى المعركة، بينمافر إبنه الاكبر شبل الدولة نصر إلى حلب ودخلها واستول الدزبرى على جنوب بلاد الشام ودخل دمشق ، وكتب إلى الخليفة الظاهر يبشره بالنصر ومقتل صالح بن مرداس .

ولم يمض عدة أشهر على معركة الأقحوانة حتى فوجىء نصر بن صالح

بهجوم للبيزنطيين على حلب ، منتهزين فرصة ضعف حاكمها ومقتل صالح بن مرداس ، إلا أن نصراً استطاع بمساعدة أهل حلب ، أن يوقع الهزيمة بالجيش البيزنطى وأن يحول بينهم دون تحقيق أغراضهم .

ورغم انتصار نصر على البيزنطيين إلا أنه خاف تكرار هجومهم عليه ، فأراد أن يدعم نفسه بمساندة الفاطمين فأرسل للخليفة الظاهر كتاباً وهدايا قيمة يعلن من خلالها ولائه لهم ، إلا أن الخليفة الظاهر كان آنذاك يحتضر ، ولمّا مات وخلفه المستنصر بالله ، رحب هذا الخليفة بتقريب نصر المرواسى لدولتهوأرسل الخليفة تقليداً له ولآله رضائه عليه ، وبذلك حقق نصر ما كان يريده من وراء تأييد خلفاء الفاطميين له .

وكان انوشتكين الدزبرى يطمع فى اخضاع كل الشام له ، وبذلك رمى بعينه الى ممتلكات المرادسيين فيها، فدخل فى حروب مع صالح المرداسي انتهت في سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨ م بهزيمة قوات نصر بن صالح وقتله فى المعركة وارسال رأسه الى الدزبرى. وهرب ثمال بن صالح من المعركة الى حلب وأعد العدة هناك لمعاودة حرب الدزبرى، إلا أن قوات الدزبرى لحقت به فى حلب واوقعت الهزيمة به ففر ثمال الى اقليم الجزيرة عند مدينة الرحبة.

ومنذ ذلك الوقت خضعت حلب للفاطميين، فى الفترة المحصورة بين سنة ٤٢٩ هـ وسنة ٤٣٣ هـ/١٤٠١م وهى السنة التى مات فيها الدزبرى.

وبعد موت الدزبرى اختلفت الأمور ثانية فى الشام، وعادت القبائل العربية

الى عصيانها، وسقطت حلب بيد ثمال بن نصر المرداسى الذي لقب بمعز الدولة سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م. ولقد قام ثمال بتحسين علاقته مع الخليفة المنتصر بالله الفاطمى، كذلك حسن علاقته مع الامبراطورة تيودورا زوجة الامبراطور جستنيان البيزنطى.

ولقد اضطربت العلاقات بين ثمال والخليفة المستنصر، ووقعت بينهما حروب انتهت بانتصار المرداسين، ،رغم ذلك فقد أرسل الى الخليفة الفاطمى يعلن طاعته له وولائه.

هذا وعلى الرغم من تبادل الرسل بين الفاطميين والمرداسيين، فإن الخليفة الفاطمى المنتصر بالله وحاشيته لم يكونوا مرتاحين لثمال بن صالح المرداسى، ولذلك أمر اليازورى، الوزير الفاطمى، هبة الله الشيرازى الذي أرسله بنجدات للبساسيرى الثائر فى العراق ضد الخليفة العباسى، أن يقاتل المرداسيين بجيوش من العرب الكلبيين، غير أن الشيرازى استطاع بما أوتيه من الدهاء وحسن السياسة أن يعيد حلب الى أملاك الفاطميين سلماً بعد أن أعيت جيوشهم. وكان ثمال قد زهد فى حكم حلب واتفق مع الخليفة الفاطمى على أن يسلم له حلب مقابل أن يعوضه عنها أماكن تبعد عن مواطن أهله الكلابيين الذين كان قد مل منهم ومن مؤامراتهم ضده. فأجابه الخليفة الى ما أراد وأعطاه عوضاً عن حلب: بيروت وعكا وجبيل من بلاد الساحل الشامى. وبالفعل أرسل الخليفة الفاطمى نوابه لاستلام حلب وقلعتها من ثمال بن مرداس وكان ذلك سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٧م.

وأقام والى حلب من قبل الفاطميين، مكين الدولة، فى حلب، واستمر على ذلك الى أن تجمع بنو كلاب بعد أن استعادوا الرحبة على أثر مقتل البساسيرى على يد طغرلبك وارادوا أخذ حلب من واليها الفاطمى، ونجحوا فى ذلك بفضل ما استولوا عليه من سلاح تركه البساسيرى. فاستدعوا محمود بن مرداس ليخلصهم من حكم الفاطميين، وكان محمود يطالب بحلب باعتبار أنها كانت من أملاك أبيه نصر وهى له من بعده، ونجح فى ذلك سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، وقطعت منها الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله بعد أن دامت لأربع سنوات غير أن مكين الدولة، حاكم حلب الفاطمى تحصن بقلعة حلب وأرسل يطلب النجدة من مصر. فأرسل له المستنصر سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م جيشاً بقيادة ناصر الدولة الحسين بن حمدان، وعندما وصل ناصر الدولة الى أفاميه أعطى الخلع الفاخرة لبنى كلاب ليقربهم اليه ويضعف بالتالى موقف محمود المرداسى فى حلب. وبسبب ذلك اضطر محمود الى أن يخرج من حلب فدخلها مكين الدولة ورجاله ونهبوا المدينة وقتلوا الكثير من أهلها. ولما دخل ناصر الدولة حلب ووجدها خراباً فرض على أهلها خمسين ألف دينار مقابل بقاء محمود المرداسى على حكمها وخروج ابن ملهم منها. ولما لم يستطع أهلها دفع المبلغ هددهم بالحرب وبالفعل وقعت معركة بين قواته التى تزيد على الخمسة عشر ألفاً وقوات محمود المرداسى التى لم تبلغ الألفين عند الفنيدق، من أعمال حلب، انتهت بهزيمة ناصر الدولة وأسره وانتصار المرداسيين.

وعلى هذا النحو انتهت هذه المحاولة لأبعاد المرداسيين عن حلب، ويئس

والى حلب ووالى قلعتها من قبل الفاطميين، وسلموا المدينة والقلعة لمحمود المرداسى، الذى أحسن اليهم وأعطاهم الأمان وأرسل معهم الى مصر من وقع فى أسره من أمراء وقواد الفاطميين.

وكان معز الدولة ثمال بن صالح المرداسى فى مصر عندما استولى ابن أخيه محمود بن نصر المرداسى على حلب وقلعتها، فاتفق معه الخليفة المستنصر على أن يأخذ منه عكا وبيروت وجبيل مقابل تزويده بمال ليذهب الى حلب بعد ان عادت حلب الى حكمهم، وبالفعل وصل ثمال الى حلب وحاصرها بمن اجتمع حوله من أفراد قبيلته فى حمص وحماه، وحاصر حلب مرتين حتى استطاع دخولها، وتصالح مع ابن أخيه محمود بعد أن تنازل محمود عن حقه لعمه فى حكم حلب، وكان ذلك سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م. غير أن ثمال ما لبث أن مرض وتوفى فى العام التالى، وقبل وفاته كان أوصى بحكم حلب من بعده لأخيه عطية بن صالح المرداسى.

ولم يرض محمود بن نصر المرداسى بولاية عمه عطية لحلب، فثار ضده وحاربه وانتهت الحرب بينهما باستيلاء محمود على حلب وذلك سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م. وفى ذلك الوقت وقعت الشدة المستنصرية بمصر (٤٥٧ - ٤٦٣هـ)، بينما كان السلطان السلجوقى الب أرسلان المسيطر على الخلافة العباسية، فى أوج قوته وقد ملك المناطق القريبة من حلب. لذلك خاف محمود المرداسى من قوة السلاجقة ففضل أن يخطب للخليفة العباسى القائم بأمر الله

وللسلطان ألب ارسلان سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م.

ولم يعش محمود المرداسي، بعد ذلك طويلاً فقد توفى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م. وتولى أمر حلب من بعده ابنه نصر، الذي مات مقتولاً بعد عام واحد من توليه الحكم، وبعد قتله تنازع أخواه سابق ووثاب على الحكم، فاستنجد وثاب بالسلطان السلجوقي ملك شاه، الذي أرسل اليه مسلم بن قريش العقيلي، صاحب الموصل بجنود كثيرة سنة ٤٧١ هـ/١٠٧٩م، واستطاع مسلم العقيلي أن يأخذ حلب، وبدخوله حلب انقضى حكم المرداسيين لها، وقامت على انقاضها امارة عربية أخرى، ،هى التى أسسها مسلم بن قريش العقيلي، باسم الدولة العقيلية.

٣ - الدولة العقيلية
(٣٨٠ - ٤٨٩هـ/٩٨٩ - ١٠٩٥م)

هم بنو عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر، وينتهى نسبهم إلى قيس عيلان، وكانت مساكنهم، قبل الاسلام، بالبحرين مع قبائل تغلب وبنى سليم، وقد نشب قتال بين بنى عُقيل وبنى تغلب من جهة، وبنى سليم من جهة أخرى، وانتصر الفريق الأول، فاضطر بنو سليم الى الخروج من البحرين. ثم اختلف بنو عقيل وبنو تغلب واقتتلوا فغلب بنو تغلب وخرج بنو عقيل من البحرين، متجهين الى العراق، وهناك سكنوا الكوفة والبلاد الفراتية، وأصبحوا رعايا لبنى حمدان الذين كانوا يحكمون الموصل، ثم غلبوهم على الموصل مع مطلع سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م.

وفى العصر العباسى الأول، كان لبنى عقيل نشاط كبير فى المنطقة التى سكنوها بين الموصل وحلب. ففي خلافة المأمون ثار رجل منهم وهو نصر بن شبث العقيلى فى شمال حلب سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م بسبب تحيز خلفاء العباسيين للفرس وأهمالهم شأن العرب فأرسل اليه المأمون قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين وقضى على ثورته وقُبض عليه وأرسل ليقتل فى بغداد سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م. ولقد انحاز نصر العقيلى الى الأمين فى صراعه مع أخيه المأمون لأن الأمين كان ينتصر للعرب ولأن أمه كانت عربية هاشمية.

ولقد استقل العقيليون بدولتهم فى الموصل منذ سنة ٣٨٠هـ، وظلت دولتهم قائمة فيها مستقلة عن دولة الخلافة العباسية حتى غلبهم عليها ملوك السلاجقة، فتحولوا عنها الى البحرين مقرهم الأول، حيث تغلبوا هنالك على بنى تغلب وصاروا من رعاياهم، (٦٥١هـ/١٢٥٣م). ولقد كان للظروف التى تمر بها كل من الدولتين العباسية والفاطمية آنذاك وللأوضاع المضطربة فى بلاد الشام والعراق دور كبير فى مساعدة العقيليين على بقاء دولتهم المستقلة فى الموصل.

ولقد برز من زعماء الدولة العقيلية:

محمد بن المسيب العقيلى، الملقب بنجدة الدولة أبو كامل منصور، وهو مؤسس الدولة العقيلية فى الموصل سنة ٣٨٠هـ، وتوفى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، وأخوه المقلد بن المسيب، الملقب بحسام الدولة، والذي قتل غيلة على يد غلمانه الأتراك سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م، وابنه قرواش بن المقلد، الملقب بمعتمد الدولة، والذى توفى مقتولاً سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، وقريش بن بدران العقيلى، الملقب بعلم الدين أبى المعالى، والذي تولى امارة الموصل حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م، ومسلم بن قريش، الملقب بشرف الدولة أبى البركات.

ولقد اعتنق بنو عقيل المذهب الشيعى الاسماعيلى، إلا أنهم لم يكونوا، على الدوام، على وفاق مع الفاطميين، فكانت المصالح السياسية هى التى تحدد العلاقة بين الطرفين، فنراهم تارة يقفون مع الفاطميين ويخطبون لخلفائها، وتارةً أخرى مع العباسيين. ولقد كان مبعث سياسة التردد هذه رغبة العقيليين فى

الاحتفاظ باستقلالهم السياسى، كذلك الرغبة فى الحصول على المال من كلا الخلافتين المتنافستين على زعامة العالم الاسلامى آنذاك وهما الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية.

هذا ولقد اتضح لنا بعد استعراضنا لعلاقة العقيليين مع الفاطميين والعباسيين، نجد أنه برغم وحدة المذهب بين العقيليين والفاطميين فإن العلاقة بين الطرفين لم تكن تسير دائماً فى اتجاه واحد، اذ لم يكن لتشيعهم أى أثر أمام مصالحهم السياسية التى كانت تهدف فى المقام الأول على المحافظة على استقلالهم. فقد تحمس بعض الأمراء العقيليين للدعوة الفاطمية وأقاموا الخطبة فى بلادهم للخلفاء الفاطميين، ولم يكن ذلك منهم حباً فى الفاطميين إنما كان مرد ذلك الرغبة فى الاستفادة من خلافهم مع العباسيين فى تثبيت استقلال امارتهم. وسرعان ما نجد العقيليين يعودون الى الولاء للخلافة العباسية عندما كانوا يشعرون بالخطر على امارتهم من جانب البويهيين والسلاجقة.

ويظهر ذلك جلياً حين نستعرض موقف امراء العقيليين كلاً على حدة ازاء الخلافتين العباسية والفاطمية. فمنذ الفتح الفاطمى للشام لاحظنا ان ظالم العقيلى يقف وقفة عداء للفاطميين، ولولا الخلاف الذى حدث بينه وبين القرامطة واضطراره الى الفرار منهم لما لجأ الى الفاطميين. ودعا محمد بن المسيب العقيلى للفاطميين بعد ان قدم له الفاطميون أموالاً كثيرة. ولم يدع المقلد العقيلى للفاطميين خلال فترات حكمه التى استمرت خمس سنوات رغم تحمسه للمذهب

الشيعي. وظهر تردد قرواش بن المقلد العقيلي واضحاً بين الخلافتين وتقلبه في الولاء لأيهما، وعندما خطب للفاطميين فإنه لم يكن مخلصاً لهم كل الاخلاص، اذ كانت اقامة الخطبة باسمهم من أجل الحصول على مزيد من الأموال والخلع منهم، ولم يلبث أن أعاد الخطبة للعباسيين حين هدده بهاء الدولة البويهي بارسال جيش لقتاله. أما مسلم بن قريش العقيلي، فقد كان همه الاحتفاظ باستقلال دولته والمحافظة على حدودها فقط. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف أظهر أول الأمر الولاء للعباسيين، ثم خالفهم حين أدرك محاولات الخلافة العباسية النيل من استقلال دولته فحاربهم باسم الولاء للفاطميين. غير أن الفاطميين لم يستطيعوا آنذاك ارسال امدادات اليه بسبب ظروفهم السيئة، ففشلت خطته وبذلك زادت عداوة السلاجقة له الذين كانت نهاية دولته على أيديهم. ولقد كانت نهاية دولة بني عقيل على يد السلاجقة الذين اسقطوا حلب في أيديهم سنة ٤٧١هـ/١٠٨٧م، ثم لحقت بها الموصل سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م وبذلك انتهت دولة العقيليين العربية المستقلة بعد استقلال دام لمدة قرن من الزمان.

ثانياً الدول الفارسية

١ - الطاهريون

(٢٠٥ - ٢٦١هـ)

طاهر بن الحسين	٢٠٥ - ٢٠٧هـ
طلحة بن طاهر بن الحسين	٢٠٧ - ٢١٣هـ
عبد الله بن طاهر بن الحسين	٢١٣ - ٢٣٠هـ
طاهر (الثانى) بن عبد الله	٢٣٠ - ٢٤٨هـ
محمد بن طاهر بن عبد الله	٢٤٨ - ٢٥٩هـ
طاهر (الثالث) بن محمد	٢٥٩ - ٢٦١هـ

أ - الدول الفارسية

١ - الدولة الطاهرية
(٢٠٥ - ٢٥٩هـ/ ٨٢٠ - ٨٧٢م)

بدأت بلاد فارس تتطور تطوراً اسلامياً بعد فتحها مباشرةً اذ بدأت الصبغة الاسلامية والثقافة الاسلامية تنتشر فيها منذ اتمام حركة الفتح العربى.وقد انتشرت الحركة الاسلامية فيها بدخول الموالى فى الاسلام ثم أخذت شخصيتها الاسلامية فى الظهور معبرة عن نفسها بانضمامها الى حركات المعارضة التى قامت فى وجه الحكم الأموى وقد شهدنا كيف انضم الموالى من الفرس الى حركة المختار بن أبى عبيد الثقفى ثم فى جيوش مصعب بن الزبير ثم فى ثورة محمد بن الأشعث.

ولكن بداية ظهور القومية الفارسية ظهوراً واضحاً كانت فى سنة ١٣٢هـ لأن الفرس كانوا من وراء الحركات التى أدت الى نجاح العباسيين فى الوصول الى الخلافة. وقد شهد العصر العباسى الأول نفوذ الموالى فى مجالات الدولة المختلفة ولكن بلاد فارس بدأت تعبر عن نفسها تعبيراً قومياً بظهور الامارات الفارسية المستقلة.

وهى تختلف الى حد ما عن الحركات التى ظهرت فى الأقاليم الأخرى ووجه الاختلاف أن أقسام فارس الجغرافية ظهرت فى كل قسم منها حركة استقلالية

منفصلة أي أن التعبير القومي الفارسي لم يكن شاملاً إنما يمكن ان نسميه تعبيراً متجزئاً للقومية الفارسية.

١ - الدولة الطاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩هـ/ ٨٢٠ - ٨٧٢م)

أقام هذه الدولة طاهر بن الحسين، وكان من كبار قواد المأمون، ولى منطقة بوشنج (احدى نواحى خراسان) حينما بدأ النزاع بين الأمين والمأمون وقاد جيش المأمون ضد قوات الأمين، وقام بدوره فى هزيمة الأمين طمعاً فى المكاسب التى سوف يحصل عليها من وراء هذا العمل فاشتبك مع على بن عيسى قائد الأمين، وهزمه وقتله سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م. وتقدم طاهر الى بغداد واستولى على ما فى طريقه من البلاد، وحاصر بغداد والأمين بها، وانتزعها منه، وقام رجاله بقتله (٦صفر ١٩٨هـ/٨١٣م)، وأرسل رأسه الى أخيه فى مرو. ولما حاصر طاهر بغداد أراد الأمين أن يلتجىء الى هرثمة القائد العربى لجيش المأمون فأستقل قارباً يعبر به نهر دجلة ولكن طاهراً علم بهذا فكمن له مع جماعة من جنده على شاطىء دجلة حتى اذا ما وصل الأمين هجموا على القوارب والقوا القبض على الأمين، وقام أحد غلمان طاهر بقتل الأمين فى الليلة نفسها (سنة ١٩٨).

ولقد كافأ المأمون طاهراً بن الحسين، بعد أن استقر فى الخلافة، بأن أسند اليه ولاية الجزيرة وولاية شرطة بغداد، وسماه بذي اليمينين. وكان طاهر يريد من المأمون أن يوليه خراسان، لكن المأمون لم يوليه خراسان حتى لا يستقل بها إذ لم يغب عن ذهن المأمون مدى ما يتمتع به طاهر من نفوذ فى خراسان وما يخالجه

من طموح.

على أن طاهراً لم يقنع بولاية إقليم الجزيرة، وأبدى استياءه للخليفة، ولم يزل به حتى أسند اليه فى سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م جميع البلاد شرقي بغداد. وقام طاهر بن الحسين بتوطيد نفوذه فى خراسان، واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته، وعلى ذلك استطاع أن يؤسس أول إمارة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية.

واعتزم طاهر بن الحسين الاستقلال نهائياً عن الدولة العباسية، ففي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م، اسقط اسم الخليفة المأمون من الخطبة، بأن قام فى يوم جمعة فخطب فى الناس فلما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له، وقال: «اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفها مؤنة من بغى فيها وحشد عليها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين». كذلك أمر طاهر برفع اسم المأمون عن السكة، والخطبة والسكة هما المظهران الوحيدان لسيادة الخلافة على أى ولاية وتبعيتها لها.

لكن لم يلبث طاهر بن الحسين أن توفى فجأة فى هذه الليلة التى منع فيها الخطبة عن المأمون، توفى بمرض الحمى، وقيل إن جارية كان الخليفة قد أرسلها مع طاهر وقال لها: «إذا وجدت فى يوم ما أن طاهراً ينوى الغدر أو القيام بعمل ما ضد الخلافة فعليك أن تقضى عليه بالسم الذي يكون معك»، وهى التى دست السم لطاهر فى تلك الليلة.

وبعد أن توفى طاهر، وافق الخليفة المأمون على توليه طلحة بن طاهر

ولاية أبيه على الرغم من استياء المأمون من طموحات الطاهريين، فإنه كان يخشى ان انتزع الأمر من أيديهم أن تحدث اضطرابات فى خراسان التى كانت موطن نفوذهم وعصبيتهم.

تولى طلحة أمر الدولة الطاهرية مدة سبعة أعوام لم يقع فيها شيء من الأحداث الخطيرة، وظلت علاقته طيبة بدولة الخلافة حتى وفاته سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، فخلفه فى الحكم أخوه عبد الله بن طاهر الذى حكم حتى سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م. وقد اتسعت الدولة الطاهرية فى عهد حكم عبد الله فشملت: الرى وكرمان، علاوةً على كل خراسان، وكذلك الأراضى الواقعة شرق خراسان على الحدود الهندية وهى تمتد شمالاً حتى حدود العراق. ولما توُفى عبد الله بن طاهر، خلفه إبنه طاهر (الثانى) بن عبد الله.

ولقد تمتع بنو طاهر بالاستقلال الذاتى فى دولتهم وعملوا على تحسين علاقتهم بدولة الخلافة والتعاون معها فى وقف حركات التمرد والعصيان التى حدثت ضدهم. لذلك لم يعمل العباسيون على استرداد نفوذهم على البلدان التى يسيطر عليها الطاهريون. وكان عبد الله بن طاهر قد تعاون مع الخلافة فى القضاء على الثورة التى قامت فى منطقة جبال طبرستان ضد المعتصم بتحريض من الأفشين، وارسل جيوشه لقتاله فقبض عليه وأرسله الى سامرا.

وكان محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية ولم يكن على شاكلة اسلافه وكان أميراً ماجناً يميل الى اللهو والترف فضعف أمره كحاكم وقامت

الثورات ضد حكمه ولم يستطع اخمادها. وزادت الاضطرابات فى الدولة الطاهرية فاستنجد أهل خراسان بالأمير يعقوب بن الليث الصفار أمير سجستان لاعادة الأمن للبلاد، فوجد الأمير الصفارى الفرصة سانحة لتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة الطاهرية المتداعية، فزحف بجيشه الى نيسابور سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته واسقط الدولة الطاهرية. الا أن قوات الخلافة بعد ذلك نجحت فى فك أسر محمد بن طاهر وأخذته الى بغداد وعينه الخليفة العباسى رئيساً لشرطة بغداد ثمناً لاخلاصه وولائه لدولة الخلافة.

ومما لا شك فيه ان حكم الطاهريين للمشرق كان حكماً صالحاً فقد اهتموا بأمر رعاياهم وأصلحوا أحوال البلاد الاقتصادية وأقروا الأمن فيها وتعهدوا أهل العلم والمعرفة وأصبحت نيسابور فى عهدهم مركزاً من مراكز الثقافة الاسلامية.

الصفاريون ٢٦١ - ٢٩٩هـ

يعقوب بن الليث الصفار ٢٦١هـ - ٢٦٥هـ

عمرو بن الليث الصفار ٢٦٥ - ٢٨٨هـ

طاهر بن محمد بن عمرو ٢٨٨ - ٢٩٩هـ

٢ - الدولة الصفارية
(٢٥٤ - ٢٩٩ هـ/٨٦٧ - ٩١١م)

تمثل هذه الدولة امتداد الحركة الاستقلالية الى قسم من أقسام ايران الجغرافية وهو القسم الجنوبى. وتنسب الى يعقوب بن الليث الصفار، وهو رجل مغامر انتهز فرصة ضعف الخلافة واضطراب الأحوال السياسية فغلب على أقاليم فارس الجنوبية أولاً ثم غلب على كل فارس بعد أن ضم اليه خراسان وأسقط الدولة الطاهرية، واعترفت به دولة الخلافة أميراً مستقلاً ولكن طموحه امتد الى فتح بغداد ووضع الخلافة تحت نفوذه. فاصطدم بقوة الخلافة التى كانت قد بدأت حركة انتعاش واسترداد لنفوذها فى عهد الخليفة المعتمد على الله وأخيه الموفق طلحة، ثم فى عهد الخليفة المعتضد (أحمد بن الموفق طلحة)، وكان ذلك من أكبر الأسباب فى قصر عهد هذه الدولة وسرعة سقوطها ونهايتها.

ظهرت الدولة الصفارية فى منطقة سجستان من بلاد ما وراء النهر، وهو الأقليم الجنوبى الشرقى فى ايران حالياً ويقع على حدود أفغانستان وباكستان (ويرتبط بها بالسكة الحديد). وقد قامت هذه الدولة على يد مؤسسها يعقوب ابن الليث الصفار الذى بدأحياته يتكسب من صناعة الصُفر (وهو النحاس الأصفر والأحمر).فى قرية تدعى قرنين من اقليم سجستان. وكان أبوه الليث يعمل صفاراً وكان دكانه فى السوق مركزاً للعيارين والشباب الطموح ونشأ ابنه فى شبابه صفاراً ثم انتقل من زمرة الصفارين الى جماعة العيارين وانزلق الى

السرقة ثم قطع الطريق وترقى الى رئيس جماعة واصبح ذا خيل ورجال، وكان الصفار يرسل رجاله يفرضون الاتاوات على التجار وعلى الأثرياء. وفرض سيطرته على اقليم سجستان الذي أصبح جميع أهله عياريين وأصبحت سجستان بذلك مركزاً لجماعة الخوارج المعارضين لحكم الدولة العباسية فى عهد الخليفة هارون الرشيد.

وتطلع الصفار الى توسيع سلطانه على حساب أملاك الطاهريين ولما استقر الأمر له فى سجستان وكرمان وجد ان أمر سجستان لن يستقيم له الا بالاستيلاء على خراسان. لكن محمدبن طاهر آخر حكام الطاهريين، الذي كان يعلم ما يكنه يعقوب فى نفسه من طموح لم يعطه فرصة التنفيذ فكان دائماً يسترضيه ويستميله اليه بكافة الوسائل ومع هذا كان محمد بن طاهر أشد أعداء يعقوب لأنه يعلم أن يعقوباً هو الذي قضى على نفوذ الطاهريين فى سجستان وبست وبوشنج وهرات وكابل وكرمان وكلها كانت من أملاك الطاهريين. وقد قام يعقوب بطرد كل الأمراء الطاهريين منها أو القى القبض عليهم ونفاهم الى القلاع النائية وجعل طرق القوافل التى كانت تحمل الخراج الى نيسابور تتحول الى سجستان.

ومع أن محمد بن طاهر كان فى الظاهر يساير يعقوب ومنحه منشور حكومة كرمان إلا أنه فى الواقع كان ينتظر الوقت الذى يضرب فيه ضربته فانتهز فرصة غياب يعقوب عن سجستان وارسل اليه جيشاً لكن يعقوب هزم هذا الجيش وقتل قائده. كذلك كان محمد بن طاهر يدس ليعقوب فى ديوان الخلافة ويسيء

سيعته.

وقرر يعقوب مهاجمة نيسابور عاصمة خراسان والاستيلاء عليها، فبحث عن ذريعة يبعث بها جيشه الى نيسابور وقد وجد يعقوب هذه الفرصة بهروب والى هرات عبدالله بن محمد بن صالح إلى ينسابور ولجوئه الى الطاهريين. وقد اتخذ محمد بن طاهر من هذه الحادثة ذريعة وقال: لابد من الذهاب الى خراسان لتعقب عبد الله بن «محمد» فعين فى سجستان نائباً عنه واتجه بجيشه لفتح نيسابور فى شعبان ٢٥٩هـ. ونجح يعقوب فى فتح نيسابور والقبض على محمد إبن طاهر وأسره والقضاء على دولتهم رغم مناصرة العباسيين لهم.

واضطرت الخلافة العباسية الى الاعتراف بالأمر الواقع والاعتراف بسلطة يعقوب الصفار كأمير مستقل على البلاد التى استولى عليها سنة ٢٦١هـ.

ولكن علاقة الصفار بالخلافة لم تصفُ تماماً بسبب طموحات الصفار فى العراق نفسها فلقد هدد الصفار العراق بجيوشه وأراد فتح بغداد. فأصدر الخليفة منشوراً بعزل الصفار عن حكم خراسان ولعنه وأرسل ثلاثين نسخة من المنشور الى سائر الأنحاء.

وتمكن الموفق طلحة، أخو الخليفة المعتمد على الله، من هزيمة الصفار سنة ٢٦٢هـ/٨٧٦م رغم انشغاله بحرب الزنج، فانسحب الصفار بجيشه من أمام بغداد عائداً الى نيسابور.

ولم يلبث ان توفى فى شوال سنة ٢٦٥هـ/يونيو ٨٧٩م فى مدينة جند يسابور ودفن بها (توفى نتيجة لمرض القولنج - القولون واستمر مرضه ١٦ يوماً). وكان قد جعل أخاه عمرو بن الليث ولياً لعهده قبل وفاته بسبب عدم انجابه ويقال انه لم يتزوج قط).

عمرو بن الليث الصفار (الأعور):

بايع الجند بعد وفاة يعقوب أخاه عمرو بن الليث الصفار. وقد رأى عمرو تفرق الجيش وتشتت الجند بعد الهزيمة من قوات الخليفة وتعب افراده وبعدهم عن موطنهم فى سجستان وتذمرهم. ولهذا رأى من مصلحته ان يصالح الخليفة فبعث برسالة الى المعتمد أظهر له فيها طاعته فمنحه الخليفة منشور حكومات كرمان وأصفهان وسجستان وطبرستان والهند والسند وما وراء النهر بشرط ان يرسل له كل عام خراجاً قدره ٢٠ ألف درهم. فوافق عمرو على ذلك وعاد عمرو من جند يسابور الى سجستان. وكان سبب موافقة الخليفة على تولى عمرو حكمه ما كان فى يد أخيه أن دولة الخلافة كانت مشغولة آنذاك بالقضاء على ثورة الزنج، ولما قضى الموفق طلحة أخو الخليفة المعتمد على هذه الثورة سنة ٢٧٠ هـ تفرغ للصفاريين وصمم على القضاء على قوتهم، وتبعه فى هذا الأمر ابنه الخليفة المعتضد (أحمد بن الموفق طلحة). وكان عمرو الصفار قد طلب من الخليفة ان يضم اليه جميع بلاد ما وراء النهر، وكان السامانيون يحكمون تلك البلاد (كانت فى يد اسماعيل بن احمد الساماني) فانتهز المعتضد الفرصة ليضرب الصفاريين بقوة السامانيين الناشئة. وبالفعل وقعت الحرب بين الفريقين عند بلخ وانتهت

بهزيمة عمرو الصفار وأسره آخر ربيع الآخر سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م وارساله الى بغداد ليسجن هنالك حتى وفاته سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م.

وتدهورت أحوال الدولة الصفارية بعد عمرو الصفار وتحالفت دولة الخلافة مع السامانيين على اسقاطها حتى تم ذلك بالفعل وزالت دولتهم نهائياً سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م.

ولقد جاء اسم طاهر بن محمد بن عمرو فى الخطبة فى المحرم عام ٢٩٩هـ كحاكم لسجستان، ولكنه كان ميالا للهو واللعب بالحمام وقضاء الليل والنهار مع الشراب ولم يمض وقت طويل حتى جاء الى سجستان الليث بن على الصفار (وهو ابن أخ يعقوب وعمرو) واستولى على سجستان واضطر طاهر للفرار سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م. وبعده تولى ابنه محمد بن الليث حكومة سجستان، كما حكمها معدل بن على بن الليث بعض الوقت الى أن أسرهم أجمعين أحمد بن اسماعيل السامانى وأعطى حكومة سجستان فى ربيع الأول ٢٩٩هـ/ ٩١١م الى ابن عمه أبى صالح منصور بن اسحاق وبقيت حكومة سجستان فى أيديهم الى ان استطاع خلف بن أحمد وهو حفيد بنت عمرو بن الليث الاستيلاء على سجستان. وقد وقع أسيراً فى يد السلطان محمود الغزنوى فحبسه فى سجن جرجان توفى أثناء نقله من سجن الى آخر فى رجب سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م.

ومنذ ذلك العام لم يذكر التاريخ إسماً من أسماء آل الصفار في سجستان.

السامانيون ٢٦١ - ٣٨٩هـ

احمد بن أسد بن سامان

نصر (الأول) بن احمد

اسماعيل بن احمد

أحمد بن اسماعيل

نصر (الثانى) بن احمد

نوح بن نصر

عبد الله بن نوح

منصور بن نوح

نوح (الثانى) بن منصور

منصور (الثانى) بن نوح

عبد الملك بن نوح

المنتصر بن نوح

٣ - الدولة السامانية
(٢٦١ - ٣٨٩هـ/٨٧٤ - ٩٩٩م)

قامت هذه الدولة فى بلاد ما وراء النهر ثم امتدت الى المنطقة الايرانية فبسطت سلطانها على بلاد خراسان كما ضمت طبرستان والرى والجبل وسجستان. واستجابت لنفس تيار الحركة الاستقلالية والقومية الفارسية، وربما كان تعبيرها عن الحركة الفارسية القومية أكثر ظهوراً ووضوحاً مما رأيناه عند الدول الأخرى ومظهر ذلك أن السامانيين عملوا على احياء اللغة الفارسية القديمة فى لغة فارسية حديثة تجمع بين المؤثرات الفارسية والمؤثرات العربية. وبدأت هذه اللغة فى عهدهم تصبح لغة الفكر والثقافة وترجمت اليها بعض كتب التراث العربية الاسلامية، كما ظهر فيها شعراء من الفرس المتعصبين لقوميتهم، وكان ظهورهم مقدمة لظهور الشاعر الفارسي العظيم «الفردوسى» صاحب الشاهنامة، والذي يعبر تعبيراً صحيحاً عن القومية الفارسية وعن الثقافة الفارسية الجديدة.

ولقد اقام السامانيون الفرس دولة فى خراسان وبلاد ما وراء النهر على أنقاض الدولة الصفارية.

وينحدر السامانيون من أسرة فارسية عريقة إذ ان جدهم سامان، الذي اعتنق الاسلام فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى، ينتسب الى بهرام جور من ملوك الفرس الساسانيين. ولقد أنجب سامان ابناً سماه أسد تيمناً بأسد بن عبد الله القسرى والى خرسان من قبل الأمويين وهو الذي أسلم على يديه.

وقد أنجب أسد بن سامان أربعة أبناء هم: نوح، واحمد، ويحيى، والياس. وقد تجلت شجاعتهم فى خلافة بنى العباس وعلا شأنهم فى حكم الرشيد والمأمون وكان لهؤلاء الاخوة الأربعة دور كبير فى القضاء على ثورة رافع بن الليث بن نصر بن سيار فى سمرقند، فأعانوا الخليفة فى القضاء على هذه الثورة الأمر الذي أراح الرشيد وأذهب عنه قلقه وخوفه من ان يستولى رافع على خراسان.

ولما ولى المأمون الخلافة عرف منزلة أبناء أسد بن سامان وقدرّ اخلاصهم لدولة الخلافة فولاهم ولاة على مدن هامة فى بلاد ما وراء النهر فولى نوحاً على سمرقند سنة ٢٠٤هـ، واحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش وأشروسنة، والياس على هراة. ولما توفى نوح ضمت ولاية سمرقند لأخيه أحمد امير فرغانة الذي خلفه عليهما من بعده ابنه نصر بن أحمد سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م.

وكانت علاقة السامانيين تتسم بالمودة مع الطاهريين الذين أقروهم على أعمالهم، كذلك كانوا على مودة مع دولة الخلافة وقد عاونوها فى اسقاط دولة الصفاريين حين نازعت الطاهريين حكمهم. وقدرت الخلافة للسامانيين اخلاصهم فجعلت بلاد ما وراء النهر اقليماً منفصلاً عن خراسان وأقرت عليه السامانيين. وارتبطت قوة الدولة السامانية بترابط البيت السامانى وتعاونه وهو ما مكنها من البقاء طويلاً لحوالى قرن وربع قرن من الزمان ولم يضعف شأن هذه الدولة الا بعد تفكك هذا البيت وتعرضه للخلافات الداخلية وتزايد نفوذ قواد الأتراك فى هذه الدولة واعتماد السامانيين عليهم. كذلك لتعرض هذه الدولة لضغط متزايد من

قبل البويهيين، وهم فرس من الديلم، الذين طمعوا فى أملاكهم نتيجة استعانة بعض وزراء السامانيين بهم مما أتاح لهم فرصة التدخل. كذلك لتعرض هذه الدولة لخطر داهمها من الشرق وهو خطر خانات الأتراك وخطر سلاطين الغزنويين.

واشتهر بين السامانيين فرع أحمد بن سامان خصوصاً ولديه نصر واسماعيل. وقد نجح نصر واسماعيل فى ضم بخارى الى دولتهم وكانت تحت حكم الصفاريين، وذلك حين اضطربت الأمور فى بخارى بسبب كثرة الفتن بها وتنازع أهلها فيما بينهم واستنجاد فريق من أهلها وأعيانها بالأمير نصر السامانى فى سمرقند، فأرسل نصر إليهم أخاه اسماعيل وعلى الرغم من الخلافات التى كانت بين أهل بخارى فقد أحسنوا جميعاً إستقبال الأمير السامانى، بل نثروا الذهب وقدموا العطايا الثمينة بين يدى هذا الأمير واقروه والياً عليهم من قبل أخيه الأمير نصر سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م فأقام الأمير اسماعيل فى بخارى الخطبة باسم أخيه نصر وحذف اسم الصفاريين منها، وبذلك آل أمر بخارى إلى السامانيين الذين اتخذوها عاصمةً لهم. وقد أقرهم الخليفة على ما فى ايديهم، فأرسل الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ) منشوراً الى الأمير نصر بحكم بلاد ما وراء النهر وفوض اليه حكم البلاد الممتدة على شواطيء جيحون حتى أقصى بلاد المشرق.

لم تستمر العلاقات بين الأمير نصر واخيه اسماعيل على ما كانت عليه من الود والصفاء ذلك ان نصراً فرض على أخيه اسماعيل - والى بخارى من قبله -

كل سنة أن يرسل له خمسمائة الف درهم من أموال بخارى، لكن اسماعيل لم يستطع ارسال هذا المبلغ بسبب زيادة نفقاته فى الحروب الكثيرة التى خاضها ضد اعدائه الطامعين فى بخارى، فاستاء نصر من أخيه اسماعيل واعتقد انه يسعى الى الاستقلال ببخارى عن دولته فعوّل على اخضاعه فسار نصر على رأس جيش كبير لمحاربة أخيه واشتبك الأخوان فى معركة قرب بخارى سنة ٢٧٢هـ انتهت بالصلح بينهما على أن يرسل اسماعيل لأخيه الأموال المقررة عليه لكن بعد خمس عشرة شهراً رفض اسماعيل إرسال الأموال المقررة عليه فتجددت الحرب بين الأخوين وانتهت بانتصار اسماعيل على أخيه سنة ٢٧٥هـ ووقوع نصر أسيراً فى يد أخيه الذي أحسن اليه وسأله العفو والصفح، وبلغ من حرص اسماعيل على هيبة أخيه ان سيَّره من فوره الى حاضرته سمرقند قبل أن يصلها أنباء الحادث فلا تتعرض بذلك سمعته فيما وراء النهر الى شيء من المهانة، وظلت العلاقة طيبة بين الأخوين حتى وفاة نصر سنة ٢٧٩هـ فلما توفى استولى اخوه اسماعيل على ممتلكاته وأمره الخليفة العباسى على حكم بلاد ما وراء النهر.

غير ان الدولة العباسية كانت تنظر بعين الشك والريبة الى تلك الدولة الفتية الناشئة التى أخذت تزداد فى القوة والنفوذ في القسم الشرقى من الدولة الاسلامية. فاتخذت الدولة العباسية سياسة ذات وجهين فبينما فوض الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ) الأمير السامانى اسماعيل حكم بلاد ما وراء النهر تآمر عليه سراً وأرسل الى عمرو بن الليث الصفار يحرضه على التخلص من الأمير السامانى. وقد هدف الخليفة العباسى من وراء ذلك الى ضرب خصمين

قوين له ببعضهما بقصد اضعافهما أو شغلهما عن الزحف على العراق. ودخل السامانيون الحرب ضد الصفارين وانتهت هذه الحرب بهزيمة الصفارين والقبض على عمرو الصفار سنة ٢٨٨هـ وارساله الى بغداد التى ظل سجيناً بها حتى وفاته مقتولاً سنة ٢٨٩هـ.

ارتفعت مكانة اسماعيل بعد هزيمته للصفارين وضمه خراسان الى دولته وتفويض الخليفة حكم هذه البلاد. وقام اسماعيل بعد ذلك بضم طبرستان الى دولته بعد ان هزم أميرها محمد بن زيد العلوى، كذلك ضم الرى الى دولته كما ضم اليه قزوين. واتخذ اسماعيل من بخارى حاضرة لدولته وازدهرت هذه المدينة فى عهد هذا الأمير حتى غدت قاعدة كل ولايات آسيا الوسطى. وأقام فيها المنشآت الضخمة والقصور الفخمة والمدارس ووفد عليها العلماء من كل مكان وقام الأمير الساماني بالترحيب بهم وتقريبهم اليه.

ولأول مرة تتوحد بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر جميعها تحت حكم واحد هو حكم الأمير اسماعيل الساماني.

ولقد حكم اسماعيل أكثر من ثلاثين عاماً أظهر خلالها العدل والإحسان بين رعايا دولته.

لما توفى الأمير اسماعيل سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م أخذت الدولة السامانية فى الضعف والانحلال، فقد انقسم البيت الساماني على نفسه طمعاً فى رغبة افراده الى الوصول الى الحكم. كما ان بعض كبار رجال الدولة عملوا على تحقيق

أطماعهم فى الوصول الى السلطة فضعف شأن أمراء البيت السامانى حتى صاروا العوبة فى أيدى كبار رجال الدولة. وقد أدى ضعف هذه الدولة الى ازدياد نفوذ الترك فارتفع شأنهم فيها بعد ان كانوا مجرد خدم وأتباع.

ولى بعد اسماعيل الحكم ابنه أحمد بن اسماعيل سنة ٢٩٥هـ بعد وفاة ابيه، وقد سار سيرة ابيه فى العدل والاحسان إلى الرعية لكنه لم يكن فى مثل مقدرة أبيه فى الحنكة الادارية والمقدرة الحربية. ولم يستطع القضاء على الثورة التى نشبت فى اقليم طبرستان على يد الأمير الحسن بن على الزيدى الملقب بالأطروش بسبب تغلبه على أهل هذه البلاد والتفافهم حوله بعد ان حول الكثيرين منهم من الوثنية والمجوسية الى الاسلام وقيامه بطرد والى السامانيين عن هذه البلاد.

لم يستمر حكم أحمد بن اسماعيل سوى ست سنوات، فقد راح ضحية مؤامرة أودت بحياته سنة ٣٠١هـ/٩١٤م، فخلفه فى الحكم ابنه نصر وكان فى الثامنة من عمره فاستصغر الناس سنه واستضعفوه وتنافس أمراء البيت الساماني على الوصول الى الحكم، فثار على نصر عمه اسحاق بن أحمد واستقل باقليم سمرقند، كما ثار عليه ابن عمه منصور بن اسحاق واستولى على بعض مدن خراسان، لكن هذين الأميرين لم ينعما باستقلالهما طويلاً عن الدولة السامانية، لقضاء نصر على استقلالهما واسترداد الأرض التى اغتصباها.

لما توفى نصر سنة ٣٣١هـ خلفه فى حكم الدولة ابنه الأمير نوح بن نصر

وقام نوح بالقضاء على المناوئين لحكمه ووطد حكمه فى بخارى.

ولما توُفى نوح خلفه من بعده ابنه الأمير عبد الملك بن نوح وكان فى العاشرة من عمره.

ولما توُفى عبد الملك سنة ٣٥٠هـ خلفه أخوه منصور بن نوح، وأخذت الدولة السامانية فى الضعف والانقراض فى عهدهم بسبب خروج القواد عليها وازدياد نفوذ البويهيين الذين امتلكوا منتصف بلاد فارس، كما استقل ببلاد جرجان وطبرستان بنوزيار الديالمة، ولم يلبث السامانيون أن ألقوا بأنفسهم ازاء كل هذه الصعاب التى اعترضت سياستهم فى أحضان الدولة الغزنوية الناشئة حتى آل أمرها نهائياً الى الغزنويين. وسقطت دولة السامانيين ليتقسم ملكها بين قوتين قوة الغزنويين التى اتخذت من الثغر الهندى مجالاً لنشاطها وقوة خانات الأتراك الذين تولوا أمر الثغر الشرقي فى بلاد ما وراء النهر.

والجدير بالذكر ان الحضارة الاسلامية ازدهرت فى عهد السامانيين حتى كانت بخارى وسمرقند وبلخ تحت حكمهم مناراً للعلوم، وكان بلاطهم فى بخارى كعبة العلماء والأدباء وكانت مكتبة نوح بن نصر السامانى من أعظم مكتبات العالم، وقد ظهر فى ظل هذه الدولة الرئيس ابن سينا الفيلسوف الطبيب صاحب كتاب القانون فى الطب الشهير (ظهر انتاجه فى عهد منصور بن نوح) والشاعر عمر الخيام والمقدسى المؤرخ الشهير وغيرهم من كبار أعلام الحضارة الاسلامية، ولقد كانت بلاد ما وراء النهر بحق فى عهد السامانيين مراكز اشعاع كبرى

للحضارة الاسلامية الزاهرة.

أما دور السامانيين من الناحية السياسية فقد حفظوا الثغر الاسلامى الشرقى ومدوا النفوذ الاسلامى الى بلاد الترك البعيدة وجعلوا من بلاد ما وراء النهر بيئة صقل وتهذيب للعنصر التركى الذى أسلم على يد السامانيين وبدأ يتحول إلى عنصر مفيد بالنسبة للعالم الإسلامى وانبثق عن التأثير السامانى ذلك الدور الذى تهيأ للترك الغز فى خدمة العالم الإسلامى فى العصر السلجوقى. كما أنه إنبثق عن النفوذ السامانى الدولة الغزنوية وهى دولة تركية اتخذت من الثغر الهندى مركزاً لها وعملت باسم السامانيين ثم حلت محلهم وقامت بدور كبير سوف نتحدث عنه حديثاً خاصاً.

البويهيون
(فى العراق والأهواز وكرمان)
(٣٢٠ - ٤٤٧هـ/٩٣٢ - ١٠٥٥)

١ - معز الدولة بن بويه (أبو الحسين أحمد)	٣٢٠ - ٣٥٦هـ/٩٣٢ - ٩٦٧م
٢ - عز الدولة بختيار	٣٥٦ - ٣٦٧هـ/٩٦٧ - ٩٧٧م
٣ - عضد الدولة	٣٦٧ - ٣٧٢هـ/٩٧٧ - ٩٨٢م
٤ - شرف الدولة	٣٧٢ - ٣٧٩هـ/٩٨٢ - ٩٨٩م
٥- بهاء الدولة (أبو ناصر فيروز)	٣٧٩ - ٤٠٣هـ/٩٨٩ - ١٠١٢م
٦ - سلطان الدولة	٤٠٣ - ٤١١هـ/١٠١٢ - ١٠٢٠م
٧ - مشرف الدولة	٤١١ - ٤١٦هـ/١٠٢٠ - ١٠٢٥م
٨ - جلال الدولة	٤١٦ - ٤٣٥ هـ/١٠٢٥ - ١٠٣٤م
٩ - عماد الدين (أبو كاليجار)	٤٣٥ - ٤٤٠هـ/١٠٣٤ - ١٠٤٨م
١٠- أبو ناصر خسرو فيروز (الملك الرحيم)	٤٤٠ - ٤٤٧هـ/١٠٤٨ - ١٠٥٥م

٤ - الدولة البويهية
٣٢٠ - ٤٤٧هـ/٩٣٢ - ١٠٥٥م

البويهيون أو بنو بويه أسرة تتكون من ثلاثة رجال ظهر أمرهم وهم: علي والحسن وأحمد أبناء بويه، يرجعون نسبهم الى بهرام جور أحد الملوك الساسانيين، وهم فى الحقيقة كانوا من أسرة فقيرة ببلاد الديلم، وهى البلاد التى تقع جنوب بحر قزوين، وكان أبوهم بويه من عامة الناس يتعيش من صيد السمك ويعينه أولاده على الحياة بالقيام بأعمال بسيطة يتكسبون منها وقد كان أحمد بن بويه بعد أن ملك البلاد وتولى إمرة الأمراء ببغداد يتحدث بنعمة الله تعالى عليه فيقول: «كنت احتطب الحطب على رأسى».

لكن هذه الأسرة الفقيرة عظم أمرها واستقلت بحكم جزء كبير من ممتلكات الدولة العباسية بل شاركوا دولة الخلافة فى حكم العراق الى حدود الجزيرة العربية، وعظم أمر هذه الأسرة حتى تسمى باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية (٣٣٤ - ٤٤٧هـ).

وقد جاء ارتفاع أمر هذه الأسرة على يد الأخ الأكبر من الأخوة البويهيين الثلاثة وهو على بن بويه، فانه كان جنديا استطاع بشجاعته ان يكون قائد جماعة مهاجرة من الديلم، وكان الديلم بعد أن انفتح خط ثغر طبرستان يهاجرون على هيئة أجناد، وكانوا يتخذون لأنفسهم قائدا يتبعونه، وكان هذا القائد ينتقل من خدمة ملك الى خدمة ملك آخر حسب مصالح جماعته وحسب من يحتاج

لخدمته ومن يدفع له ولأصحابه أكبر عطاء ممكن. ولقد اتخذت الهجرة الفارسية الديلمية طريقها من جنوب بحر قزوين من عند مدينة الرى الى جنوب شرق بلاد فارس حيث كانت قبضة الخلافة والدولة السامانية ضعيفة على هذه المنطقة.

ولم تقف الخلافة مكتوفة الأيدى أمام التقدم الديلمى، فقد حاولت بكل وسيلة أن تمنع الهجرة الديلمية وأن تصد تيارها، ولكن هذا التيار كان قويا بحيث اجتاح أمامه كل شئ.

وأول محاولة قامت بها الخلافة لايقاف هذا التيار هى تفويض السامانيين أمر المنطقة التى تخرج منها الهجرة الديلمية، فضمت هذه المنطقة مع اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر الى السامانيين. وقد أفادت هذه الطريقة بعض الشىء وأدت الى نتائج مؤقتة، فقد نجح السامانيون فى تقويض أركان الدولة الطبرية العلوية بعد حكم الحسن بن زيد وأخيه محمد وانقطعت سلسلة الأئمة الزيديين ابتداء من عام ٢٢٧هـ، وفى هذه الفترة استطاع السامانيون أن يتحالفوا مع زعماء الديلم فوقفت الهجرة الديلمية مقابل أموال دفعها السامانيون لهم.

لكن الهجرة الديلمية ما لبثت أن استؤنفت فى أوائل القرن الرابع الهجرى مرة أخرى وقوى تيارها نتيجة لكثرة دخول الديلم فى الاسلام حتى ظهرت دولة ديلمية أخرى أخذت مكان الدولة العلوية وهى الدولة الزيارية فى اقليم الجبل برئاسة مرداويج بن زيار. وهنا أيضا حاولت الخلافة بطريقة أخرى أن توقف تيار الهجرة فاتفقت مع مرداويج على أن تقره على ما فى يده وأن تمنحه التقليد بحكم

هذه البلاد مقابل وقف الهجرة الديلمية. لكن مردوايج ما كاد يستقر فى اقليمه وينال اعتراف الخلافة حتى قصده الديلم من كل ناحية وملأوا عليه البلاد وتمردوا عليه، وكانت الطائفة الديلمية التى تمردت عليه بقيادة على بن بويه.

وكان على بن بويه قائدا صغيرا من قواد زعيم ديلمى وهو «ما كان بن كالى» ولما ضعف أمر ما كان وعجز عن ضمان الارزاق للجند تفرق عنه على بن بويه بجماعته ولجأ الى مرداويج عدو ما كان، فولاه مرداويج ولاية الكرج وهى ولاية صغيرة فى اقصى الجنوب من ممتلكاته وهى تقع بين همدان واصفهان، ومن هذه النقطة بدأت الهجرة البويهية الكبيرة.

ارتاب مرداويج فى أمر على بويه بعد أن ولاه ولاية الكرج فأمر بأن يحال بينه وبين الوصول الى الكرج لكن مصادفة وقعت حالت دون تنفيذ هذا الأمر تلك المصادفة هى ان عليا حين مر بمدينة الرى اتيح له ان يُكرم الوزير أبا عبد الله الحسين بن محمد الملقب بابن العميد وهو والد أبى الفضل ابن العميد الذى صار فيما بعد وزيرا لركن الدولة بن بويه فسهل له هذا الوصول الى ولايته. ثم حاول مرداويج بعد هذا ان يضعف موقف على بن بويه فأرسل اليه جندا من المهاجرين يتقاضون ارزاقهم من دخل الولاية لكن عليا استفاد من هذا فانه لم يكن طالب مال وانما كان طالب رجال ولماكان قد تعود ان يُعطى كل ما يغنمه للجند فانه أكرم الوافدين عليه حتى صاروا تبعا له. وفكر على بن بويه فى ان يفر الى مكان لا تصل اليه يد مرداويج وان يدخل فى طاعة الخلافة ويكون من خدامها

بدلا من ان يخدم مرداويج. فلما علم ان مرداويج يقصده استعد وخرج من الكرج الى اصفهان واستولى عليها سنة ٣٣١هـ بعد ان انتصر على واليها محمد بن ياقوت فى معركة بظاهر أصفهان. ومن أصفهان تقدم على بقواته جنوباً إلى مدينة أرجان التى تقع فى منتصف المسافة بين أصفهان وشيراز فاستولى عليها بدون قتال لفرار واليها أمام قوات ابن بويه ثم انسحب على بن بويه بعد ذلك بجماعته نحو الجنوب حتى وصل إلى مدينة «النوبندجان» وهى مدينة كبيرة تقع فى منتصف المسافة بين أرجان وشيراز فدخلها دون قتال كبير. ثم تقدم على بقواته إلى شيراز والتقى بجيش هذه المدينة عند قنطرة شيراز ووقعت بينهم موقعة كبيرة سنة ٣٣٢هـ انتصر فيها ابن بويه واستسلمت له شيراز فدخلها واستقر بها واتخذها قاعدة له. وفى سنة ٣٣٤هـ اتجه أحمد بن بويه إلى فتح اقليم كرمان الواقع خلف اقليم فارس من ناحية الشرق، كذلك فتح الأهواز سنة ٣٢٦هـ. ثم اتجهت جهود على نحو الشمال نحو أملاك الدولة الزيارية فأرسل أخاه الحسن لكى يحتل البلاد التى كانت تحت يد مرداويج بن زيار فأستولت على اقليم الجبل. وصارت أملاك الزياريين تحت سلطان البويهيين وحكم الحسن إبن بويه بلاد الجبل.

أما العراق فلم يحاول على بن بويه ان يوجه اليه أحدا الا حين اقتنع أهل العراق ان لا خلاص لهم الا على يد بنى بويه.

ولما استقر أمر الدولة لبنى بويه فى شيراز ارسلوا للخليفة العباسى القاهر

يطلبون منه تقليداً بولايته وشرعية هذه الولاية فسارع الخليفة بارسال التقليد لهم فصاروا ولاة شرعيين على ما تحت يدهم.

كانت الحالة فى العراق مضطربة أشد الاضطراب فى الوقت الذى أخذت فيه الهجرة البويهية تتجه إلى الجنوب وكانت الخلافة واقعة تحت نفوذ القواد الأتراك وكانت الأحوال المالية والاقتصادية للدولة سيئة للغاية، ونتيجة لهذه الظروف استدعى الخليفة الراضى العباسى والى واسط محمد بن رائق وقلده منصباً جديداً هو منصب أمير الأمراء على أمل ان يصلح هذا المنصب أحوال البلاد بعد ان فسدت الوزارة والوزراء واستشرى تحكم كبار قواد رجال الأتراك فى الدولة. لكن هذا النظام الجديد عجز عن اقرار الأمور فى العراق وعجز عن حل المشكلة التى كانت تواجه الخلافة نتيجة لوقوعه فى نفس الموقف الذى كان قبله وهو تنازع القواد وتحديات الجنود كما درسنا ذلك تفصيلا فى فصل إمرة الأمراء فى مادة الدولة العباسية.

وفى هذا الوقت كانت الهجرة البويهية قد استقرت فى اقليم فارس واقامت الأسرة البويهية لها ملكا موحدا هناك مستقلاً استقلالا تاما عن الخلافة العباسية ولا يربطها بها الا الولاء الروحى وهو الولاء والتبعية للسيادة السنية برغم اعتناق البويهيين المذهب الزيدى الشيعى. وأصبحت هذه الدولة الفتية القوية تطل على العراق وترقب ظروفه، وكان الناس فى العراق وقد احسوا بفشل أمرة الأمراء فى علاج أحوال البلاد المتردية يتطلعون الى هذه القوة

الجديدة المطلة على بلادهم والتى اثبتت كفايتها وجدارتها. فكاتب القواد فى بغداد أحمد بن بويه حاكم الاهواز منذ ان فتحها سنة ٣٢٦هـ وطلبوا اليه المسير اليهم والاستيلاء على بغداد وكان الأمر فى يد العراق فى يد حزب الديلم بعد تغلب توزون وشيرزاد وهم ديالمة على إمرة الأمراء.

وتقدم أحمد بن بويه الى بغداد واستقبله الخليفة المستكفى واحتفى به وخلع عليه بلقب معز الدولة كما خلع على أخيه على بلقب عماد الدولة وعلى أخيه الحسن بلقب ركن الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم.

وبدخول أحمد بن بويه وتوليه إمرة الأمراء فى بغداد سنة ٣٣٤هـ ابتدأ العصر البويهى فى حكم العراق والسيطرة البويهية الديلمية على دولة الخلافة حتى عام ٤٤٧هـ، وهو طور يدخل فى نطاق دراسة تاريخ الدولة العباسية فى عصرها الثانى.

العلاقة بين بنى بويه والخلافة:

خلفاء العصر البويهى هم:

- المستكفى: وقد خلع فى نفس السنة ٣٣٤هـ خلعه أحمد بن بويه.
- المطيع: حكم ٢٩ سنة (٣٣٤ - ٣٦٣هـ).
- الطائع: حكم ١٨ سنة (٣٦٣ - ٣٨١هـ)

- القادر: حكم ٤١ سنة (٣٨١ - ٤٢٢هـ)

- القائم: حكم ٤٥ سنة (٤٢٢ - ٤٦٧هـ) وقد حضر نهاية العصر البويهى وبداية حكم السلاجقة.

من قراءة طول المدد التى حكمها الخلفاء العباسيون خلال العصر البويهى يتضح لنا ان الخليفة صار رمزا غير مسئول عن شىء وأن الأمراء البويهيين كانوا يتحملون كل المسئولية. ولذلك لم يتسمى أمراء البويهيين بلقب امراء الأمراء ولكنهم تلقبوا بلقب الملك ولقب شاهنشاه.

واذا كان المؤرخون قد ذكروا ان الأمراء البويهيين قد أذلوا الخلفاء بسبب مذهبهم المختلف وانهم سلبوهم سلطانهم وجعلوهم العوبة فى أيديهم ففى الحقيقة أن بنى بويه ورثوا وضعا كان قائما قبلهم ولم يكن لهم يد فى هذا التطور الذى صارت اليه أمور الخلافة فى بغداد.

ذكر صاحب الفخرى ابن طباطبا (ابن الطقطقى):

«ان معز الدولة البويهى ركب يوما إلى دار الخلافة وسلم على الخليفة المستكفى وقبل الأرض بين يديه وأمر المستكفى فطُرح كرسى فجلس عليه معز الدولة ثم تقدم الى المستكفى رجلان من الديلم بمواطأة معز الدولة فمدا أيديهما نحوه فظن المستكفى انهما يريدان تقبيل يده فمد يده فجذباها ونكسّاه من السرير ووضعا عمامته فى عنقه وسحباه ونهض معز الدولة وضربت البوقات

والطبول واختلط الناس ودخل الديلم إلى حرم الخليفة وحُمل المستكفى إلى دار معز الدولة فأعتقل بها وخُلع من الخلافة ونُهبت داره وسُملت عيناه ولم يزل فى دار السلطة معتقلاً حتى توفى سنة ٣٣٨هـ».

وبرغم ان البويهيين كانوا شيعة على المذهب الزيدى فانهم لم يحولوا الخلافة للعلويين وظلوا يدينون بالولاء تحت راية المذهب السنى الرسمى، كذلك ساروا بالمذهب الزيدى نحو التسامح وقالوا بجواز امامة المفضول مع وجود الافضل فاجازوا على هذا الأساس الذى اقره المذهب الزيدى وعلى أساس المصلحة السياسية ان يدينوا بالولاء لخليفة سنى.

ملوك بنى بويه:

تغير مركز الدولة البويهية مرات كثيرة، فكان مركزها فى شيراز طوال حياة عماد الدولة البويهى (على بن بويه) مؤسس الأسرة إلى ان توفى سنة ٣٣٨هـ، ثم انتقلت رياسة البيت وانتقل معها مركز الدولة إلى الرى حيث كان ركن الدولة الأخ الذى يلى عماد الدولة فى السن. وظل مركزها فى الرى إلى ان توفى ركن الدولة سنة ٣٦٦هـ ثم انتقل مركز القوة مرة أخرى إلى بغداد عندما آلت رئاسة البيت البويهى إلى عضد الدولة وظلت بغداد مركزا للعالم البويهى من سنة ٣٦٧هـ إلى عهد ابنه الثالث بهاء الدولة إلى ان نقل هذا المركز إلى شيراز مرة أخرى سنة ٣٨٩هـ.

أول أمراء هذه الدولة هو عماد الدولة الذى كان بالنسبة لأخويه كالأب

وهو الذى قاد الهجرة الديلمية نحو الجنوب وكان أخوته قوادا له. فلما استقر الديلم فى شيراز كان عماد الدولة هو الذى ينشىء لأخوته الممالك فيرسلهم إلى نواح يفتحونها ويملكهم عليها. كذلك كان أخوه الذى جاء بعده فى الرياسة وهو ركن الدولة يُطاع من بقية أفراد البيت البويهى لأنه كان من نفس الجيل وكانت تقاليده هى التقاليد الأولى.

فلما آل الأمر بعد ذلك إلى طبقة عضد الدولة وهو الجيل الثانى تغيرت الحال بعض الشىء الا ان عضد الدولة استطاع بالقوة ان يفرض على كل أفراد البيت البويهى الولاء للدولة والحرص على الصالح العام. الا ان الالتجاء إلى القوة صار سابقة يتبعها كل من راوده الطموح وصار الحال بعد عضد الدولة مختلفا اذ ان عضد الدولة فتح باب الخلاف وقُدِر بعده على أفراد هذا البيت ان يفترقوا أبداً.

وجاء بعد جيل عضد الدولة جيل أبنائه الثلاثة: صمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة وتولوا رئاسة الدولة واحدا بعد واحد وتنازعوا على الملك نزاعاً طويلا حتى آل الأمر إلى الأخ الأصغر بهاء الدولة فاستقرت الأمور فى أيامه.

ثم كان بعد هذه الأجيال الثلاثة جيل رابع هو جيل أبناء بهاء الدولة فانه قد كان من تمكن بهاء الدولة وعلو أمره ما مهد الأمر لأولاده فكانت الرياسة فى أولاده دون غيره من أخوته. فتولى الملك بعده أولاده: سلطان الدولة ومشرف لدولة وجلال الدولة. فلما آل الأمر إلى هذا الجيل الرابع غلب الانقسام فأصبح

كل واحد منهم مستقلا بناحية بحيث لا يدع للأكبر أو لمن يجب ان يتولى الرياسة رسميا مجالا للتدخل. وهذا الانقسام كان سببا فى ضعف الأسرة.

وفى هذا الجو المضطرب القلق اتجهت النفوس إلى شيراز وكان فيها أحد أبنائه سلطان الدولة وهو «أبو كاليجار» فانضوى الجميع تحت لوائه وقد دفعهم إلى هذا التضامن احساسهم بالضعف وبقرب النهاية. ثم ان أبا كاليجار لم يحكم وحده الا خمس سنين ثم آل الحكم من بعده الى ابنه الملك الرحيم، وهو آخر ملوك بنى بويه، وفى عهده دخل طغرلبك السلجوقى بغداد سنة ٤٤٧هـ وأزال ملك البويهيين.

ولتفصيل ذلك نقول:

ان عماد الدولة (على بن بويه) وهو مؤسس الدولة البويهية، كان هو الوحيد فى حكام البويهيين الذى كان يتلقب بالملك وكان أخوه معز الدولة (أحمد) ممثلاً له في بغداد وكان يتلقب هو وأخوه ركن الدولة (الحسن) المقيم بالرى بلقب الأمراء. وظل حكام البويهيين يتلقبون بلقب الأمير إلى آخر أيام الدولة البويهية.

وكانت الأمور مستقرة أيام مؤسس الأسرة عماد الدولة، ولكن من سوء حظ هذه الأسرة ان عماد الدولة لم يعمر اكثر من أربع سنوات بعد الإستيلاء على بغداد فلم يتح لبنى بويه الوقت الكافى لتنظيم الوضع الجديد تنظيما تاما.

ولما توفى عماد الدولة عام ٣٣٨هـ آل أمر الدولة إلى ركن الدولة (الحسن بن بويه) وتحولت العاصمة فى عهده من شيراز إلى الرى. ولم يكن ركن الدولة فى قوة عماد الدولة ولا فى سطوته، وفى عهده مال كل جزء من أجزاء الدولة البويهية الثلاثة إلى الإستقلال بأمر نفسه ووقع ذلك بالفعل بعد موت ركن الدولة سنة ٣٣٦هـ.

وعند موت ركن الدولة آلت الرياسة الى عضد الدولة بن ركن الدولة. وفى السنة التالية لوفاة أبيه سار عضد الدولة بجيوشه الى بغداد وحارب ابن عمه بختيار (عز الدولة بختيار بن معز الدولة) الذى كان قائما بعد ابيه فى بغداد ودخل بغداد وقتله سنة ٣٦٧هـ وبذلك اجتمعت لعضد الدولة رئاسة الدولة وضمن ان يكون الوارث الوحيد لملوك بنى بويه الثلاثة، واصبحت بغداد عاصمة الخلافة عاصمة بنى بويه أيضا.

وقويت االدولة البويهية فى عهد عضد الدولة وأوتيت مدة طويلة من الثبات (٣٨ عاما) من سنة ٢٣٤ - ٣٧٢هـ إلى أن مات عضد الدولة .

أبناء عضد الدولة :

صمصام الدولة ، شرف الدولة ، بهاء الدولة :

لم يعمر عضد الدولة بعد دخوله بغداد سوى خمس سنين فتوفى سنة ٣٧٢هـ ثم آل الأمر من بعده إلى أولاده الثلاثة : صمصام وشرف وبهاء تداولوا

الرئاسة واحد بعد الآخر وأقاموا فى بغداد جميعاً ما عدا الثالث وهو بهاء الدولة الذى تحول بعد عشر سنين من ولايتة إلى شيراز بعد أن أدرك أن قوة الدولة بعودة مركزها إلى شيراز .

أبناء بهاء الدولة :

سلطان الدولة ، مشرف الدولة ، جلال الدولة :

اضطر بت الأمور بعد بهاء الدولة لأن أبناءه الثلاثة إستأثر كل واحد منهم بناحية ، فأقام سلطان الدولة فى شيراز (٤٠٣، ٤١٥هـ) وتولى أخوه مشرف الدولة إمرة الأمراء ببغداد وأخوه جلال الدولة البصرة وأخوه أبو الفوارس كرمان فمال كل واحد منهم إلى الاستقلال بناحيته . وحين توفى سلطان الدولة آلت الرياسة إلى أخيه مشرف الدولة ولكنه لم يعمر بعد أخيه إلا عام واحد فتوحد الملك البويهى من جديد لجلال الدولة فحكم مدة طويلة تبلغ تسعة عشر عاماً أتيح له فيها أن يستعيد حيوية البيت البويهى. وانتقلت الرياسة بعد جلال الدولة إلى أبى كاليجار ابن سلطان الدولة وكان فى شيراز وظل أبو كاليجار وريثاً للبيت البويهي خمس سنين ثم خلفه آخر أمراء الأسرة البويهية وهو أبو نصر خسروفيروز الملقب بالملك الرحيم وفى عهده دخل السلاجقة العراق سنة ٤٤٧هـ.

السلاطين الغزنويون

ألبتكين	ت ٣٥١هـ
ابراهيم بن البتكين (ابو اسحق)	٣٥١-٣٥٢هـ
بلكاتكين	٣٥٢-٣٥٥هـ
بيرى	٣٥٥-٣٦٢هـ
١- سبكتكين (ناصر الدولة)	٣٦٧-٣٨٧هـ
٢- اسماعيل بن سبكتكين	٣٨٧-٣٨٩ هـ
٣- محمد بن سبكتكين (يمين الدولة)	٣٨٩-٤٢١هـ
٤- مسعود (الأول) بن محمود (ناصر الدين)	٤٢١-٤٣٣هـ
٥- مودود بن مسعود (شهاب الدين)	٤٣٣-٤٤١ هـ
٦- عبد الرشيد بن محمود (عز الدولة)	٤٤١-٤٤٤هـ
٧- إبراهيم بن مسعود (جلال الدين)	٤٤٤-٤٥٢هـ
٨- مسعود (الثانى) بن ابراهيم (علاء الدولة)	٤٥٢-٤٩٢هـ
٩- شيرزاد بن مسعود (الثانى) بن ابراهيم (كمال الدولة)	٤٩٢-٥٠٨هـ

١٠- أرسلان شاه بن مسعود (سلطان الدولة) ـ ٥٠٨-٥٠٩هـ

١١- بهرام شاه بن مسعود (يمين الدولة) ٥٠٩-٥١٢هـ

١٢- خسرو شاه بن بهرام (معز الدولة) ٥١٢-٥٨٢هـ

خلفاء العباسيين فى العصر الغزنوى

الطائع ٣٦٣-٣٨١هـ

القادر ٣٨١-٤٢٢هـ

القائم ٤٢٢-٤٥٧هـ

المقتدى ٤٥٧-٤٨٧هـ

المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ

المسترشد ٥١٢-٥٢٩هـ

الراشد ٥٢٩-٥٣٠هـ

المقتفى ٥٣٠-٥٥٥هـ

ب - الدول التركية

نظم الحكم والحضارة
أ.د/ محمد جمال الدين سرور

ا - الدولة الغزنوية

٣٥١ - ٥٨٢ هـ/ ٩٦٢ - ١١٨٦ م

يرجع ظهور الدولة الغزنوية التى سميت بعاصمتها غزنة إلى أحد المغامرين الترك المسلمين «سبكتكين» ، فقد تولى منطقة غزنة من قبل السامانيين ثم مد سلطانه فى الشرق حيث ضم إليه إقليم خراسان الذى ولاه عليه نوح بن منصور السامانى سنة ٣٨٤هـ مكافأة له على قمع الثوار فى بلاد ما وراء النهر .

لكن سبكتكين إتجه بأعماله نحو الهند ولم يكن اتجاهه نحو البلاد التى كانت فى حوزة السامانيين إلا تلبية لرغبتهم حين استعانوا به على قمع حركات الخارجين عليهم فى خراسان ، فقد انضم بقواته إلى نوح بن منصور السامانى فى قتال الخارجين عليه فى خراسان وفى قتاله البويهيين الذين رغبوا فى الاستيلاء على خراسان من أملاك السامانيين اعتمد السامانيون على الأتراك فى أمور دولتهم وكان قوام جيشهم منهم وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة فزاد نفوذهم وعلا شأنهم فى دولة آل سامان .

ومن أبرز هؤلاء القواد الأتراك الذين ارتفع شأنهم فى الدولة السامانية ألبتكين الذى إرتقى فى سلك الجيش السامانى حتى ولى منصب حاجب الحجاب

للأمير عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥١هـ).

ولقد تمرد ألبتكين على السامانيين وأقام له إمارة مستقلة فى منطقة زابلستان وجعل عاصمته غزنة . ولما توفى ألبتكين سنة ٣٥٢ ء خلفه إبنه أبو اسحق ابراهيم . ولما توفى دون أن ينجب ولد خلفه على حكمها أحد مماليكه وهو بلكاكتين سنة ٣٥٩ ولكن أهل الولاية خلعوه وعينوا بدله سبكتكين لما كان عليه من عقل ودين وخلق وسبكتكين هو أحد موالى ألبكتين وكان حاجباً لإبنه إبى إسحق ، ولى إمارة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م. وقد استطاع سبكتكين وإبنه محمود مع قوات السامانيين الانتصار على هؤلاء الخارجين ، كما إنتصروا على البويهيين وأعادوا للسامانيين مدينة نيسابور ، وبعودة نيسابور إلى السامانيين ولى نوح السامانى محمود بن سبكتكين عليها كما ولاه على جيوش خراسان ولقبه بسيف الدولة ولقب أباه سبكتكين بناصر الدولة ، ولقد أعترف الخليفة العباسى لهما بهذه الألقاب وبحكمهما لولاية غزية.

ومع أن سبكتكين كان من الناحية العملية مستقلاً عن السامانيين وأكثر نفوذاً منهم فإنه كان يعترف لهم بالسيادة وشن الحروب ويفتتح البلاد باسمهم .

وقد ولى سبكتكين منذ أول الأمر وجهه شطر المواقع الجبلية الواقعة فى بلاد الأفغان الآن واستولى على بعض المواقع فيها حيث مدينة كابل حاضرة بلاد الأفغان الحالية .

وإلى سبكتكين يرجع الفضل فى وضع أساس امبراطورية الغزنويين ، إذ

إمتد سلطانه إلى ناحية الهند حيث أسس بها حكومة فى بشاور .

وتوفى سبكتكين سنة ٣٨٧ ه/ ٩٩٧ م ليخلفه فى حكم دولة الغزنويين إبنه محمود ولمحمود وأبيه سبكتكين من قبله الفضل الكبير فى فتح شمال الهند ونشرالإسلام بها. ويرجع اهتمام المسلمين ببلاد الهند الى عهد الخلفاء الراشدين فقد شنوا عدة حملات على أطراف هذه البلاد، وكانت أول حملة نظامية وجهت الى هذه البلاد فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، اذ أذن للحجاج بن يوسف الثقفى - عامله على العراق - بايفاد حملة الى الهند فأرسل عدة حملات لم تصل كلها الى نتيجة حاسمة. فأعد جيشاً أسند قيادته الى ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفى سنة ٩٢هـ/٧١١م وزحف بقواته من شيراز الى ثغر مكران الى الديبل التى استولى عليها المسلمون، وكانت الديبل أول مدينة عربية اسلامية فى الهند وبعد ذلك استولت قوات محمد بن القاسم على الملتان.

فى العهد العباسى فى عهد المنصور دخلت كشمير فى حوزة العباسين، وفى عهد خلفاء العصر العباسى الأول سيطر المسلمون على البلاد الواقعة بين كابل وكشمير والملتان فى اقليم السند.

وتمكن الاسلام فى بلاد شمال الهند فى عهد الغزنويين نظراً لما قاموا به من فتوح لهذه البلاد ونشر الاسلام بين أهلها. وكان سبكتكين قد أنشأ جيشاً قوياً من الأفغان والترك ورأى ضرورة الانطلاق بتلك القوة الهائلة الى ميدان فسيح - ولم يكن فى استطاعته الاتجاه نحو بلاد العراق لأن البويهيين كانوا قد

وطدوا نفوذهم فيها، كما ان بلاد ما وراء النهر كان خانات الأتراك القراخانيين يعملون على بسط سيطرتهم عليها وانتزاعها من السامانيين، لذلك انطلق الغزنويون الى بلاد الهند من منطقتهم الوعرة لفتحها ونشر الاسلام بها. ومما لا شك فيه ان الرغبة فى الجهاد ورفع راية الاسلام فى غير بلاد الاسلام كان من أقوى الأسباب التى دفعت الغزنويين الى القيام بفتوحاتهم.

سار سبكتكين سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م على رأس جيش كبير الى شمال غرب الهند واستولى على كابل، ثم استولى على لمغان وهدم بيوت الأصنام بها.

سار محمود الغزنوى على سياسة ابيه التى تنطوى على بسط سيطرة الدولة الغزنوية على بلاد الهند ورأى فى هذه البلاد ميدان الجهاد الأكبر فغزاها سبع عشرة غزوة فى مدى ٢٧ عاماً (٣٩١ - ٤١٧هـ/١٠٠٠ - ١٠٢٦) حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية وسعى الى نشر الاسلام واحلاله محل البرهمية فى كل مكان وأخضع كل اقليم البنجاب حيث استطاع خلفاؤه من بعده أن يثبتوا سلطانهم فى عاصمتهم لاهور مائة وخمسين عاماً. اندفع فى فتوحاته الى ما وراء نهر الكنج والجانج ليختتم فتوحه فى الهند باحتلال مدينة كجرات.

١- على ان أعظم غزوات السلطان محمود حدثت سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م اذ فتح عدة حصون ومدن واستولى على الصنم المعروف بسومنات وهو أعظم أصنامهم يحجون اليه كل ليلة خسوف ويعتقد الهنود ان الأرواح اذا فارقت الأحياء اجتمعت فيه فينشئها فيمن يشاء، وكانوا يحملون اليه نفائس الجوهر

ويعطون سدنة المال الوفير وله وقف يزيد على عشرة الاف قرية يفد اليه البراهمة لعبادته واقامة الحفلات الدينية على بابه وكانوا يعتقدون ان هذا الصنم يحيى ويميت ويبرىء من العلل.

هاجم محمود سومنات لأنه كان أخطر مراكز المقاومة الهندوكية فى وجه الزحف الاسلامى ولقد نجح محمود فى هزيمة القوات المدافعة عن سومنات وحطم الصنم وأحرق بعضه وأخذ بعضه الى غزنة وجعله عتبة لمسجد غزنة الجامع.

ولقد واصل خلفاء محمود فتح بلاد الهند، ففتح ابنه مسعود (٤٢١ - ٤٣٣هـ) جنوبى كشمير، كما فتح ابنه مودود (٤٣٣ - ٤٤١) عدة حصون فى بلاد الهند، وفتح ابراهيم بن مسعود (٤٤٤ - ٤٥٢) قلاعاً جنوب لاهور.

ولقد سعدت دولة الخلافة بفتوحات الغزنويين فى الهند وخاصة فتوحات محمود وتعبيراً عن هذه السعادة أرسل الخليفة العاسبى القادر بالله خلعاً الى السلطان محمود الغزنوى لم يسمع بمثلها مع رسول من دار الخلافة وأسبغ عليه[***] فى الكتاب الذي قلده فيه حكم الدولة الغزنوية بلقب «يمين الدولة وأمين الملة» فتقوى السلطان محمود برضاء الخليفة عليه وكسب حكمه الصفة الشرعية وقوى نفوذه وعظم سلطانه.

وأحدث السلطان محمود الغزنوى فى ولاية العهد ما أحدثه ابوه من قبل فلم يعهد الى ابنه الأكبر مسعود انما عهد الى ابنه محمد ذلك لعدم رضائه عن مسعود، وهو نفس الشيء الذي فعله سبكتكين حين لم يجعل ولاية العهد

لمحمود وجعلها لأخيه الأصغر اسماعيل. ونجح مسعود فى اقصاء أخيه محمد عن الحكم سنة ٤٢٢هـ كما نجح من قبل محمود فى اقصاء أخيه اسماعيل سنة ٣٨٩هـ.

ولما استقرت الأمور للسلطان مسعود فى غزنة أرسل الخليفة العباسى اليه تقليداً بالحكم مع رسول دار الخلافة.

حكم مسعود الدولة الغزنوية حتى سنة ٤٣٣هـ، وفى هذا العام توجه السلطان مسعود الى الهند كعادته فى كل شتاء فى صحبة أخيه محمد، فلما عبر السلطان مسعود نهر سيحون ثار غلمانه عليه وعزلوه ونادوا بأخيه محمد سلطاناً ولم يلبث أن أغتيل السلطان مسعود بتحريض من أبناء أخيه محمد حتى تصفو السلطنة لأبيهم.

لم يتغاضى مودود بن مسعود عن المؤامرة التى حلت بأبيه وعوّل الانتقام من قتلته، وكان مودود فى خراسان يقاتل السلاجقة فغادرها عائداً الى غزنة لمقاتلة عمه السلطان محمد وأبنائه الذين قتلوا والده فنجح فى هزيمتهم وقتلهم واستعادة ملكه سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م.

على ان الحكم لم يستقر لمودود فقد طمع أخوه مجدود فى الحكم ولم يرضخ لطاعة أخيه، وكان مجدود فى الهند وقت تولى أخيه أمر السلطنة وجهز جيشاً لمقاتلة أخيه وفى نفس الوقت جهز مودود جيشاً لاخضاع أخيه لكن القدر حال بين الأخوين وبين الاشتباك فى قتال فقد توفى مجدود قبل ان يصله جيش

أخيه وبذلك عادت الى الدولة الغزنوية وحدتها.

لما توفى مودود بن مسعود سنة ٤٤١هـ خلفه ابنه مسعود (الثانى) وكان طفلاً صغيراً فعدل الناس عنه الى عمه على بن مسعود فطمع رئيس الحجاب عبد الرشيد بن محمود فى الحكم ودعا الجند الى المناداة به سلطاناً فأجابوه ودخل غزنة ففر منها على بن مسعود وتربع عبد الرشيد على عرش السلطنة واستقر له الأمر ولقب بسيف الدولة. وجاءت نهاية عبد الرشيد سنة ٤٤٤هـ على يد أحد حجاب مودود ويدعى طغرل فقتله واستولى على غزنة وتزوج ابنه السلطان مسعود كرهاً حتى يقترب بهذا الزواج الى بيت سبكتكين وأعلن نفسه سلطاناً. لكن خرخيز أحد قادة عبد الرشيد الأوفياء عوّل على احباط مؤامرة طغرل واعادة الحكم الى بنى سبكتكين وقتل طغرل وتولية السلطنة للأمير فرخزاد بن مسعود.

وعلى الرغم من الأخطار الجسيمة التى تعرضت لها الدولة الغزنوية من جانب السلاجقة جيرانها الأقوياء فإن أمراء البيت الحاكم لم يكفوا عن التنازع فيما بينهم على الحكم بل استعانوا فى خلافاتهم بالسلاجقة الذين لم يألوا جهداً منذ عهد السلطان مسعود فى انتزاع بلدان الدولة الغزنوية.

وجاء هذا التدخل حين توفى مسعود بن ابراهيم بن مسعود سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م وخلفه فى السلطنة ابنه أرسلان شاه وخرج عليه أخوه بهرام شاه وسعى الى التخلص من حكمه واستعان على أخيه بالملك السلجوقى سنجر وطلب منه العون للخلاص من أخيه وتوليته السلطنة بدلاً منه فاستجاب له سنجر

وسير جيشاً كثيفاً الى غزنة لانتزاعها من سلطانها ودخلت قوات السلاجقة مع قوات السلطان الغزنوى فى معركة كبيرة انتهت بانتصار جيش السلاجقة فدخل سنجر غزنة ومعه بهرام شاه فخلع سنجر أرسلان شاه من السلطنة وأحل مكانه بهرام شاه.

ومن أكبر العوامل التى عجلت بانهيار الدولة الغزنوية ظهور الأتراك السلاجقة وارتفاع شأنهم وازدياد قوتهم وسعيهم الى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة الغزنوية. كما أن الغور الأفغان خرجوا من عزلتهم الجبلية وعملوا على مد نفوذهم فيما وراء حصونهم وكان خير ميدان لتنفيذ سياستهم بلدان الدولة الغزنوية التى أخذت عوامل الضعف والانحلال تنال منها حتى أنهكت قواها ولم تعد تستطيع مقاومة أعدائها الأشداء.

أما السلاجقة فقد أذن لهم السلطان محمود الغزنوى بالاقامة فى الأراضى المحيطة ببخارى، ولما أحس بزيادة خطرهم على دولته بعد أن قوى أمرهم حبس أحد زعمائهم فى احدى القلاع ببلاد الهند وأبقاه رهينة حتى يضمن عدم خروج السلاجقة عن طاعته.ولم يستطع السلاجقة الوقوف فى وجه السلطان محمود لقوة بأسه، لذلك لم يكن هنالك أى خطر على الدولة الغزنوية من جانب السلاجقة فى عهد السلطان محمود.

ولما توفى السلطان محمود وخلفه ابنه مسعود كشفوا القناع عن أطماعهم فى الدولة فنجح السلاجقة فى اقتطاع خراسان من الدولة الغزنوية بعد هزيمتهم

لقوات السلطان مسعود وهزيمته ساحقة سنة ٤٣١هـ وهو عائد بجيشه المتعب من غزوة له لأقليم طبرستان عند هزيمة داندانقان ولقد أعلن الملك السلجوقى طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق نفسه ملكاً على خراسان سنة ٤٣٢هـ وفقدت الدولة الغزنوية أعظم ممتلكاتها وهو اقليم خراسان بعد موقعة داندانقان الفاصلة.

وانتهز السلاجقة فرصة قتل السلطان مسعود واستولوا على طبرستان وجرجان وسجستان، وسار طغرل الى خوارزم واستولى عليها، كما استولى ابراهيم ينال على الرى وهمدان. وانتزع طغرل ايضاً بلاد الجبل وكرمان وأصفهان ولم يبق بعد ذلك للغزنويين سوى اقليم غزنة وممتلكاتها في الهند.

ووقعت الدولة الغزنوية بين شقى الرحى بتعرض الغور لها ولممتلكاتها ولقد عمل هؤلاء الغور على زوال الدولة الغزنوية وانهاء حكم بيت سبكتكين.

وكان الغور قد بدأوا يعيثون فساداً فى ممتلكات الدولة الغزنوية منذ عهد محمود بن سبكتكين، لكن هذا السلطان القوى اشتبك معهم فى عدة معارك أوقفتهم عند حدهم، غير أن الغور وجدوا فرصتهم بعد موت محمود ومن خلال الصراع الذي دب بين أفراد البيت الغزنوى الحاكم. وظهر الخطر الغورى واضحاً فى عهد حكم السلطان بهرام شاه بن مسعود الذي كان قد قتل زعيم الغور محمد بن الحسين أثر مؤامرة دبرها ضده، فقام أخوه سورى بن الحسين بالانتقام لمقتل أخيه فسار على رأس جيش كبير الى غزنة عاصمة الدولة الغزنوية رأساً ونجح فى إنتزاعها من يد السلطان بهرام شاه الذى إنسحب إلى البلاد الغزنوية

الهندية. ونجح بمساعدة أهل غزنة فى هزيمة قوات سورى وقتله وفرار قواته من غزنة سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م واسترداد الغزنويين لعاصمتهم غزنة.

ولما قُتل سورى خلفه فى حكم دولة الغور أخوه علاء الدين الحسين الذي جهز جيشاً لغزو غزنة والانتقام لمقتل أخيه ونجح فى ذلك، وعاد الى بلاده بعد اقرار الأمر له فى غزنة وترك أخاه سيف الدين نائب عنه على غزنة لكن أهل غزنة وبهرام شاه عاودوا الكرة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م واستردوا غزنة من الغور مرة ثانية.

على ان بهرام شاه توفى سنة ٥١٢هـ وخلفه ابنه خسرو شاه، وكان علاء الدين ملك الغور قد أعد العدة لاسترداد غزنة والانتقام من أهلها، فلما علم خسرو بذلك ترك غزنة وهرب الى لاهور الأمر الذي سهل على علاء الدين فتح غزنة والانتقام من أهلها فأباح المدينة لجنده ثلاثة أيام كاملة لقى أهلها فيها سوء العذاب وتحطمت على يد جنوده جميع المبانى والمنشآت التى شيدها سلاطين الغزنويين.

لما توفى علاء الدين ملك الغور خلفه فى حكم غزنة أخوه غياث الدين الذى نجح فى طرد الأتراك الغز منها وعزم على استئصال شأفة آل سبكتكين والاستيلاء على كل ما تبقى من ممتلكاتهم، فأرسل أخاه شهاب الدين الى البلدان الغزنوية غير الهندية واستولى عليها وتوجهت قواته الى لاهور آخر معاقل الغزنويين ودافع عنها خسرو شاه ورجاله لكن قوات الغور انتصرت عليهم

واستولت على المدينة وقبضت على السلطان خسرو شاه وأرسلوه وابنه ملكشاه الى ملك الغور ليسجنا هنالك فى بعض القلاع وكان ذلك سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م.

وهكذا انتهت الدولة الغزنوية بعد أن ظلت تحكم لأكثر من قرنين وكانت نهايتهم على يد دولة الغور وعلى يد أميرها السلطان غياث الدين وورثت بذلك الدولة الغورية ممتلكات الدولة الغزنوية فى الهند وكان اتجاه هذه الدولة هندياً خالصاً ومازالت تقوم بدورها فى مد نفوذ العالم الاسلامى وتمكينه فى الهند حتى جاء المغول فأسقطوها، ثم قاموا بأمر هذا الثغر الهندى بعد أن أسلموا، وعلى أيديهم امتد الاسلام فى الهند وتدعم وكانوا أساس العالم الاسلامى الهندى الذي تعبر عنه الآن دولة باكستان.

النظم والحضارة فى الدولة الغزنوية :

١ - نظم الحكم

كانت الدولة الغزنوية من الناحية القانونية تابعة للخلافة العباسية غير ان هذه التبعية كانت اسمية فقط، اذ حكم بنو سبكتكين دولتهم مستقلين تماماً عن بغداد وظلوا يتوارثون الحكم فى هذه الدولة حتى نهايتها.

أما عن قاعدة الوراثة فى الحكم فلم تسر على نظام ثابت، ذلك ان بعض سلاطين الغزنويين. قد عهدوا بالحكم الى غير الوريث الأحق، فقد عهد سبكتكين بولاية العهد لابنه اسماعيل على الرغم من ان ابنه محمود كان الأكبر سناً وكان

صاحب الحق. كذلك فعل السلطان محمود اذ عهد الى ابنه محمد وأغفل ابنه الأكبر مسعود، وقد أدى ذلك اى حدوث الكثير من المنازعات حول الوصول الى الحكم بين أبناء بيت سبكتكين. ومهما يكن من أمر هذه المنازعات فقد ظل هذا البيت الغزنوى العريق قابضاً على زمام الأمور فى الدولة الغزنوية حوالى قرنين من الزمان وفشلت محاولات العسكريين خلال تلك الحقبة فى انتزاع الحكم منهم.

كان السلطان الغزنوى حاكماً مطلقاً فى دولته، مصدراً لكل سلطاتها واستعان فى ادارة هذه الدولة بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والقدرة، ومن أبرز هؤلاء الرجال : الوزير وكبير الحجاب والمشرف على المملكمة وقائد الجيش. وكان للدولة الغزنوية وزير واحد فقط، ومن أشهر وزراء الغزنويين :الوزير أحمد حسن الميمندى والوزير عبدالرازق بن أحمد حسن الميمندى.

ومن اختصاصات الوزير فى الدوة الغزنوية فى إدارة شئون الدولة الخارجية والداخلية وقد تسند اليه كذلك الشئون العسكرية.

وكان تعيين الوزير يخضع لرسوم معينة فبعد أن يقسم القسم المعهود يأمره السلطان بالذهاب الى خزانة الملابس لارتداء الخلعة المخصصة له وتتكون من قباء ناصع البياض عليه نقوش فضية دقيقة الطراز وسلسلة فخمة ومعطف مرصع بالفيروز.

ويساعد الوزير فى عمله عدد من الحجاب يرتدون السواد وعدد من المساعدين والكتاب والنساخ.

ولقد تنوعت ألقاب الوزير فى الدولة الغزنوية فلقب الوزير أحمد الميمندى بالأستاذ الرئيس والخواجة، ولقب الوزير أحمد عبد الصمد بالشيخ العميد المعتمد.

ومن المناصب الكبيرة فى الدولة الغزنوية منصب كبير الحجاب فاختصاصه يشبه اختصاص كبير الأمناء فى عصرنا الحالى اذ يقوم بنقل أوامر السلطان الى كبار رجال الدولة وينقل رغبات وطلبات الوزير وكبار الموظفين الى السلطان كما يقوم بالاشراف التام على مقر السلطان ومجلسه وشئونه الخاصة ويستشيره السلطان فى كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها. وقد يسند اليه السلطان مهمة قيادة الحملات الحربية ويعرض على السلطان الأمور الهامة التى يجب على السلطان بحثها وابداء الرأى فيها. وبلغ من أهمية هذا المنصب أن صاحبه يتولى تدبير أمور الدولة فى حالة غياب السلطان أو سفره أو مرضه أو وفاته حتى تسلم أمير اخر للحكم. وتتم المراسم السلطانية باشراف كبير الحجاب خاصة مراسم تعيين كبار رجال الدولة.

ومن أبرز حجاب الدولة الغزنوية : الحاجب أبو سعيد التونتاش حاجب السلطان محمود الغزنوى.

ومن أبرز مناصب الدولة الغزنوية منصب المشرف على المملكة ويشبه اختصاصه اختصاص وزير الداخلية ورئيس المخابرات فى عصرنا الحالى، فهو يقوم بالنظر فى أمن الدولة وسلامتها، كذلك يقوم بجمع الأخبار التى تتعلق بأمن

الدولة للسلطان وينقلها اليه، ويعاونه فى عمله أربعة مشرفين يرأسون عدداً كبيراً من صغار المشرفين ويتولى كل واحد منهم الاشراف على مدينة أو ناحية، كذلك كان له عدد من الجواسيس.

ومن أبرز المشرفين فى الدولة الغزنوية أبو سهل الحمدونى، وكان يشغل منصب الوزير فى عهد السلطان محمد بن محمود، ولما ولى السلطان مسعود بن محمود عزله عن الوزارة وأسند إليه منصب المشرف على المملكة.

وكان العارض وهو قائد الجيش يتمتع بنفوذ كبير فى الدولة، وكان مقامه بمقام الوزير، ومن أشهر قواد الغزنويين : قائد الجيش أبو سهل الزوزنى فى عهد السلطان مسعود بن محمود.

ومن الوظائف الادارية الهامة فى الدولة الغزنوية وظيفة الوالى الذى كان ينوب عن السلطان فى حكم ولاية من ولايات الدولة ويعاونه فى عمله عدد من الموظفين منهم صاحب الشرطة وصاحب البريد ومتولى الضياع السلطانية. وكان الوالى يقوم بحفظ الأمن فى ولايته وحمايتها من الخطر الخارجى وجباية خراجها والانفاق على الولاية مما يجمعه من أموالها وارسال ما تبقى الى خزانة الدولة فى غزنة.

ومن أبرز دواوين الدولة الغزنوية:

ديوان العارض (ويختص بشئون الجيش وتغطية نفقاته الحربية وأرزاق

الجند) ديوان بيت المال، ديوان الرسائل، ديوان البريد.

الحالة الاقتصادية :

اهتم السلاطين الغزنويون بتنمية موارد الثروة الزراعية فى بلادهم، خاصة وان معظم أقاليم دولتهم كانت أقاليم زراعية فأهتموا بالرى والصرف وتوفير المياه للأرض، كما عملوا على النهوض بحاصلاتها الزراعية. ومن أشهر حاصلاتهم : الفواكه المختلفة والتمور وقصب السكر والخضروات.

كذلك ازدهرت الصناعة فى عهد هذه الدولة وخاصة صناعة المنسوجات الكتانية وبخاصة فى مدينة كازرون وصناعة المنسوجات القطنية فى نيسابور (وخاصة صناعة الطيالس) وصناعة الحرير وبخاصة فى تسترولسوس. هذا وقد توفرت فى الدولة الغزنوية المعادن المختلفة اللازمة للصناعة من حديد ونحاس وفضة وذهب وأخشاب.

وقد ازدهرت التجارة الداخلية والخارجية فى الدولة الغزنوية، فراجت الأسواق فى مدنها وامتلأت بشتى البضائع، ومن المدن التى اشتهرت بأسواقها : أصفهان ونيسابور. كذلك كانت بلاد الغزنويين معبراً لتجارة المرور العالمية بين الشرق والغرب فى البر والبحر، فكانت تساهم فى هذه التجارة العالمية بمنتجاتها وتحصل على ما تريده من سلع وبضائع قادمة عبر هذه التجارة. وكانت الملتان والديبل من أهم مراكز التجارة العالمية فى الدولة الغزنوية، فكان التجار العرب فى الديبل يتبادلون البضائع مع التجار الهنود الذين يجلبون سلعهم من داخل

الهند أو من المدن المجاورة، وكانت الملتان مركزاً هاماً للتجارة مع الأقاليم الداخلية فى الهند.

وكانت الدولة الغزنوية تتعامل بالدينار والدرهم، وكانت قيمتها تتأرجح من وقت لآخر، كذلك تعامل تجار الدولة الغزنوية بالسفتاجات (شيكات سياحية)، وقد قام الصيارفة والجهابذة فى الأسواق بالتعامل مع هذه السفتاجات.

النهضة الثقافية:

برزت غزنة فى أواخر القرن الرابع الهجرى كمركز اشعاع ثقافى كبير فى جنوب غرب آسيا، وذلك بفضل تشجيع السلاطين الغزنويين الذين اهتموا بالعلوم والفنون فى دولتهم وقربوا الى مجالسهم كبار الأدباء والعلماء.

ولقد كان لقيام الدول المستقلة فى شرق الدولة الاسلامية أثره فى ازدهار الحياة الثقافية بها فقد نافست حواضر هذه الدول بغداد بعد ان كانت وحدها اكبر مراكز العلوم والأداب وأصبح لهذه الحواضر شخصية مميزة فى علمها وأدبها وفنونها.

واذا كانت الدولة العباسية قد أضيرت سياسياً بالتمزق السياسى والتفتت لوحدة هذه الدولة سياسياً فان الحضارة الاسلامية استفادت تماماً من هذ التفتت، ذلك لأن هذا التفتت خلق منارات جديدة لاشعاع هذه الحضارة لم تكن توجد لولا

قيام هذه الدول فصارت بذلك بخارى وسمرقند ونيسابور تنافس بغداد وتساهم معها فى إثراء هذه الحضارة الاسلامية الخالدة. ومما أدى الى هذا الازدهار ان حكام هذه الدول المستقلة كانوا دعاة حضارة وكانوا علماء قبل ان يكونوا حكاماً فقربوا اليهم العلماء واغدقوا عليهم وجعلوا من بلاطهم ملاذاً ومقراً لهؤلاء الرجال من أعلام الحضارة الاسلامية.

وجدير بالذكر ان السلطان محمود الغزنوي ارسل الى أمير خوارزم (مأمون بن مأمون) يقول : «لقد سمعت ان جماعة من رجال العلم يقومون على خدمة أمير خوارزم ومن الواجب عليك ان ترسلهم جميعاً الى قصرى حتى يتشرفوا بلقائى وأتشرف بلقائهم ونحن نرجو ان ننتفع بعلمهم وأدبهم وفنهم». لذلك أمر هذا الأمير رجال العلم فى بلاده بالتوجه الى غزنة فقصده البيرونى (توفى سنة ٤٠٠هـ) صاحب كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية، نبغ فى كثير من العلوم والرياضة والفلك وأقام فى خوارزم، وألف كتاب القانون المسعودى، والجماهر فى الجواهر، وكتاب تاريخ الهند (تحقيق ما فى الهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة)، والمؤرخ المشهور والرئيس ابن سينا (الفيلسوف والطبيب) وأبو صالح البتانى والقاضى الحنفى أبو صادق والبيهقى والبستى والعتبى (محمد بن عبد الجبار) والفردوسى وبديع الزمان الهمذاني (صاحب المقامات المشهور) توفى سنة ٣٩٨هـ. وغيرهم من كبار العلماء والأدباء.

سلاطين السلاجقة

٤٢٩ - ٥٩٠هـ/١٠٣٧ - ١١٩٣م

١ - طغـرليك بن مـيكائيل بن سلجـوق ٤٢٩ - ٤٥٥هـ/ ١٠٣٧- ١٠٦٣م

١ - ألب ارسلان بن داود ٤٥٥ - ٤٦٦هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م

٣ - ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٦ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢م

٤ - محمود بن ملكشاه ٤٨٥ - ٤٨٧هـ/ ١٠٩٢ - ١٠٩٤م

٥ - بركيا روق بن ملكشاه ٤٨٧ - ٤٩٨هـ/ ١٠٩٤ - ١١٠٤م

٦ - محمد بن ملكشاه ٤٩٨ - ٥١١هـ/ ١١٠٤ - ١١١٨م

٧ - سنجر بن ملكشاه ٥١١ - ٥٥٢هـ/ ١١١٨ - ١١٥٧م

٨ - طغرل (الثالث) بن سنجر ٥٥٢ - ٥٩٠هـ/ ١١٥٧ - ١١٩٣م

دولة الأتراك السلاجقة

٤٢٩ - ٥٩٠هـ/١٠٣٧ - ١١٩٣م

أصل السلاجقة من الترك الغُز (الخزَر) الذين كانوا يقيمون فى الصحراء الواسعة الممتدة من حدود الصين إلى شواطىء بحر قزوين كانت تسكن الهعناب الغربية من بحيرة خوارزم (بحر أورال) فنزلت بالقرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين وفى الهعناب المحيطة بنهرى سيحون وجيحون وسموا بالسلاجقة نسبة الى زعيمهم سلجوق بن دقاق الذى اعتنق الاسلام ودخلت جماعته الاسلام فى عهده على المذهب السنى.

وكان هؤلاء السلاجقة يخدمون ملوك الترك شرقى نهر سيحون، نشأ جدهم سلجوق، وكانت امارات النجابة ظاهرة عليه، فقربه ملك الترك واحتفى به ولقبه «شباشى»، ومعناها فى لغتهم «قائد الجيش».

نبغ سلجوق بعلو همته واستمال قلوب الرجال اليه بكرمه وعقله وانقاد اكابر الناس اليه، ويقال ان زوجة ملك الترك قالت لزوجها: «إنى اتوسم فى سلجوق تغلبا عليك والرأى عندى ان تقتله فقد كثر ميل الناس اليه».

فقال لها: «سوف ابصر ما اصنع فى أمره».

ولما أحس سلجوق بشئ من ذلك العزم وظهر له تغير الملك جمع عشيرته ومن تبعه وحالفه ونفر بهم من بلاد الترك إلى بلاد المسلمين.

فلما دخلها أظهر الإسلام ليكون المسلمون عوناً له وليمكنوه من السكن والمرعى، ونزل جنده هذه البلاد وشرع فى غزو من قاربه من أصناف الترك الكفار.

وكان ملوك الترك الكفار يفرضون أتاوات على تلك البلاد المتاخمة لهم فاقتطعها سلجوق وطرد نوابهم منها. ولقد إعتنق الترك السلاجقة الإسلام على المذهب السنى مذهب الدولة العباسية توفى سلجوق فى مدينة جند وترك أولاداً أربعة هم: بيغو ارسلان (إسرائيل)، موسى بيغو، يونس، ميكائيل.

ولما مات سلجوق وعمره مائة عام، إنتقلت زعامة السلاجقة من بعده إلى أكبر أبنائه «أرسلان»، الذى قام بغزو بلاد الترك الكفار (خانات الترك) وانتصر عليهم وأستولى على أراضيهم. ولقد أدرك الغزنويون قوة السلاجقة الناشئة فخاف من شرهم السلطان محمود الغزنوى بعد أن سمح لهم بالاستقرار فى خراسان بعد أن أعلنوا الولاء له. وقد قام السلطان محمود بإستدراج أرسلان إليه وحبسه عنده ليكون رهينة عنده هو ومن صحبه من قواد السلاجقة. وقد حُبس أرسلان فى إحدى قلاع الهند حتى مات سنة ٤٢٢ ه. وقدنجح السلاجقة فى توحيد صفوفهم بعد وفاة محمود الغزنوى وتوسعوا فى خراسان، وقد نجح قائدهم وزعيمهم طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق فى إيقاع الهزيمة بجيش الغزنويين بقيادة مسعود بن محمود الغزنوى عند سرخس سنة ٤٢٩ هـ، وإتجه طغرلبك إلى نيسابور وفتحها وأعلن فيها قيام دولة السلاجقة فى رمضان من

نفس العام. ونصب نفسه سلطاناً وإتخذ مدينة الرى قاعدة له، وكانت تلك البداية الرسمية لدولة السلاجقة المستقلة وأرسل طغرلبك سنة ٤٣٢هـ إلى الخليفة العباسى يطب منه الإعتراف بدولتهم الجديدة المستقلة.

والواقع أن اعتراف الخليفة لم يكن فى ذلك الوقت إلا أمراً شكلياً لاعطاء الدولة صفة شرعية يرضى عنها الناس ، ولم يلبث الخليفة القائم بأمر الله حين طلب منه السلاجقة الاعتراف أنه أصدر لهم التنفيذ

ولم يمر اعلان دولة السلاجقة فى سهولة فإن الأمير مسعود الغزنوى ماكاد يسمع بإعتلاء طغرليك عرشه فى نيسابور وتلقبه بالسلطان طغربك الأول حتى خرج بنفسه على رأس قواته لتأديب السلاجقة . لكن هؤلاء الحقوا به هزيمة ساحقة عند داندانقان سنة ٤٣١ هـ ، انقلب بعدها مهزوماً إلى غزنة وغنم السلاجقة من معسكره الكثير.

كانت موقعة داندانقان موقعة حاسمة فى تاريخ السلاجقة والغزنويين على السواء فانها أنهت الصراع بين هاتين القوتين لحساب السلاجقة فلم يعد الغزنويون بعد ذلك يفكرون فى مهاجمة السلاجقة أو مقاومتهم ، ولم يحاول أحد من حكام الأقاليم فى ذلك الوقت التصدى لهم فقوى أمرهم وتوافد الجند عليهم من جميع أطراف خراسان فقويت دولتهم وخافها جيرانها . حتى لقد فكر المسلمون فى إيران والعراق وغيرها من بلاد المشرق الاسلامى فى الانضمام تحت لوائها وحرصوا على إظهار الولاء لها ، كما أنها ظفرت برضاء الخليفة العباسى

عنها واعترافه بها .وبذلك انحسرت الدولة الغزنوية عن إيران وبلاد ما وراء النهر وبدأ الخيال يداعب طغرلبك فى تكوين دولة عظمى تسيطر على جميع أنحاء العالم الاسلامى ، واتم طموحه إلى العمل على أن يجعل من هذا الخيال حقيقة واقعة فبدأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل كفاح السلاجقة سيطر السلاجقة بعد واقعة داندانقان على إقليم خراسان ، كما استولوا على طبر ستان وجورجان ، وفى سنة ٤٣٤ هـ هاجموا أقليم خوارزم واستولوا عليه وانتزعوه من الدولة الغزنوية .

وواصل السلطان طغرليك توسيع رقعة دولته فاستولى على همذان واذربيجان وكرمان سنة ٤٣٧هـ ، وفى سنة ٤٤٢ هـ فتح اقليم أصفهان ، وبذلك استولى على كل أملاك البويهيين فى فارس ، وبلاد ماوراء النهر .

وتطلع السلاجقة بعد سيطرتهم على قلب البلاد إلى السيطرة على العراق والقضاء على نفوذ البويهيين بها حيث كانت الدولة العباسية تعانى الكثير من الإضطرابات والقلاقل وكانت حاضرتها بغداد مسرحا للفتن والدسائس تحت السيطرة البويهية .

ولم تكن حالة الخلافة العباسية فى عهد الخليفة القائم بأمرالله أحسن منها فى عهد من سبقه من الخلفاء ، فقد تجلى فى أيامه إستئثار بنى بويه بالسلطة وقيام النزاع أو المنافسة بين أمرائهم من جهة وبينهم وبين الجند من جهة أخرى.

وقد حاول أبو كاليجار بن سلطان الدولة (٤٣٥ -٤٤٠هـ) أن يستعيد

سلطان البويهيين القديم فى بغداد ، ونجح فى ذلك سنة ٤٣٦ هـ بعد استمالة كبار قواد الجيش واغداقه عليهم.

وكان طغرليك السلطان السلجوقى قد استولى على خراسان والرى فى عهده ، فعمل أبو كاليجار على التصالح معه ووثق عرى المودة بينهما سنة ٤٣٩هـ برباط المصاهرة على أن يزوج أبنته إلى طغرليك وأن يتزوج إبنه أبو منصور من إبنة الملك البويهى وتم ذلك بالفعل فى ذلك العام .

كذلك عمد أبو كاليجار إلى التقرب من الفاطميين ليتخذهم وسيلة لارهاب العباسيين حتى لايحاولوا الاستعانة بالسلاجقة الذين هددوا سلطان بنى بويه بالفعل فى ذلك الحين .

وكانت الدعوة الفاطمية إذ ذاك قد لقيت تأييداً عند الديالمة فى فارس على يد الداعى المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى الذى قام بدور هام فى نشر الدعوة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله فى بلاد الفرس والعراق واستطاع بفضل حسن سياسته أن يجذب الملك البويهى أبا كاليجار إلى دعوته الفاطمية الاسماعيلية .

ولما رأى الخليفة العباسى القائم بأمر الله هذا الخطر الشيعى الذى يهدد كيان دولته وكيان مذهبها السنى فى بلاد فارس والعراق من جراء نشاط هبة الله الشيرازى فى نشر الدعوة للفاطميين ، بعث رسولاً من قبله إلى أبى كاليجار يطلب إليه تسليم داعى الفاطميين ويهدده بالاستعانة بالسلاجقة واغرائهم

بالاستيلاء على ما يمتلكه من البلاد . فلم يحفل أبو كاليجار فى بادية الأمر بالتهديد وأرسل إلى الشيرازى يحذره من نوايا الخليفة العباسى ، لذلك عاد الشيرازى إلى مصر سنة ٤٣٨هـ .

ولمّا توفى الملك أبو كاليجار البويهى سنة ٤٤٠ هـ خلفه فى منصب أمير الأمراء إبنه وآخر حكام البويهيين أبو نصر خسرو فيروز الملقب بالملك الرحيم .

وبايعه الخليفة بذلك واستقر مُلك الأمير البويهى بالعراق بفضل جهود قائده التركى أبو الحارث أرسلان البساسيرى . وكان نفوذ البساسيرى قد ازداد فى العراق حين عين الخليفة القائم بأمر الله رئيساً للأتراك ، ومالبث أن استبد بالسلطة فى بغداد حتى أصبح الخليفة لايقطع أمراً دونه ولا يحل ويعقد إلا برأيه ، كذلك ضعف إلى جانب البساسيرى مركز الملك البويهى .

وكان البساسيرى قد تأثر بدعوة الشيرازى للفاطميين فساءت العلاقة بينه وبين الخليفة ، وقام البساسيرى من جانبه بمراسلة الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وأخبره بعزمه الدعاء له خليفة من فوق منابر بغداد وخلع الخليفة العباسى القائم من الخلافة .

ولم تكن الحالة السيئة فى بلاد العراق خافية على السلاجقة ، الذين ازداد نفوذهم إذ ذاك فى شرق الدولة الاسلامية فعمدوا على انتهاز الفرصة لمواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على أراضى الدولة العباسية .

ففى أوائل عام ٤٤٧هـ أظهر طغرليك أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وازالة دولة المستنصر الفاطمية . وأمر أصحابه باعداد الأقوات والمؤن ،ثم أرسل للخليفة القائم بأمرالله أنه يدين له بالطاعة ويستأذنه فى دخوله بغداد وهو فى طريقه إلى مكة ، فأذن له كما أمر الخطباء بإقامة الخطبة له بعده على منابر بغداد ، فتم له ذلك فى أواخر رمضان سنة ٤٤٧هـ.

ولما دخل طغرليك وجنده بغداد أظهر العامة فى المدينة تذمرهم من دخولهم وتمكنوا بمساعدة بعض الأتراك من قتل فريق من جند الأتراك السلاجقة ، فاستاء طغرليك من ذلك ، واستدعى الملك البويهي خسرو فيروز وأتباعه واتهمهم بتدبير ماحدث ، ثم قبض عليهم وأرسل الملك البويهى الى قلعة الرى فظل معتقلاً بها ثلاث سنوات حتى وفاته ، وبذلك انتهى مُلك حكام البويهيين ، الذى استمر يحكم دولة الخلافة فى بغداد مدة ١١٣ عاما . ولما بلغ الخليفة العباسى ما حل بالملك البويهى وأتباعه بعث إلى طغرليك ينكر عليه سياسة العنف التى لجأ إليها على أثر دخوله بغداد . وطلب منه ومن قواته الرحيل عن بغداد فرحلوا عنها بعد أن ظلوا بها ثلاث عشرة شهراً لم يحظ بها طغرليك بلقاء الخليفة .

أخذ البساسيرى فى توطيد علاقاته مع رجال الحكومة الفاطمية فى مصر ، فأرسل إلى المستنصر بالله الفاطمى يعلن له دخوله فى طاعته وخروجه على الخلافة العباسية كما تبودلت المكاتبات بينه وبين الداعى الشيرازى الذى كان بالقاهرة يرقب نشاط البساسيرى فى بلاد العراق .

ولقد أيد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله البساسيرى فى خروجه على الخليفة العباسى وعمل على إمداده بالمال والسلاح ، كذلك عمل على إرسال الشيرازى إلى بغداد ومعه الرجال والسلاح لمعاونة البساسيرى الذى ارتحل إلى العراق وجعل مدينة الرحبة قاعدة نشاطه هناك .

ووصل الشيرازى إلى الرحبة واستقبله البساسيرى هناك إستقبالاً حافلاً ، وجاءت للبساسيرى نجدات من الشام من المرداسيين والكلبيين وغيرهم . وبسبب هذه الامدادات استطاع البساسيرى أن ينتصر بقواته وقوات أعوانه على قوات طغرليك عند سنجار سنة ٤٤٨ هـ ، وكان قتلمش ابن عم طغرليك هو قائد هذه القوات السلجوقية .

حاول طغرليك بعد هذه الهزيمة إعادة صفوف قواته ، فخرج بنفسه على هذه القوات لمسح آثار الهزيمة التى لحقت به وأنفذ كتبه إلى خراسان وبلاد ماوراء النهر يستنفر أتباعه ، ونجح فى ذلك وحشد قوات كبيرة لمحاربة قوات الفاطميين.

وبينما طغرليك يتأهب لقتال الفاطميين خرج عليه آنذاك أخوه (من أمه) ابراهيم ينال ثائراً فى بلاد الجبل تاركاً الموصل ، فأضعف ذلك موقفه ، ويبدو أن ينال قد بأثر بالدعوة للفاطميين وأن الفاطميين والبساسيرى اتصلوا به واطمعوه فى السلطنة . وانتهز البساسيرى هذه الفرصة وزحف إلى بغداد حاملاً الرايات المستنصرية التى كتب عليها : (الأمام المستنصر بالله أبو تميم معِدٌ أمير

المؤمنين) ، وتمكن من دخول بغداد والاستيلاء عليها دون مقاومة تذكر فى ٨ ذى القعدة سنة ٤٥٠ هـ ، وكان أكثر الناس ترحيباً بقدم الفاطميين أهل الكرخ لكونهم من الشيعة .

وفى يوم الجمعة الثالث عشر من ذى القعدة سنة ٤٥٠ هـ أقام البساسيرى الخطبة بجامع المنصور ودعا للخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، كما أمر بأن يؤذن بحى على خير العمل ، كما أمر بأن يُخطب للخليفة الفاطمى على جميع منابر بغداد ، وأن تُضرب السكة باسمه . وبعث البساسيرى إلى المستنصر بالله يبشره بفتح بغداد وإقامة الدعوة له .

وضعفت سلطة الخليفة العباسى القائم بأمر الله بدخول البساسيرى بغداد وانصراف الناس عنه . وقام البساسيرى بالقبض عليه وحبسه قرب مدينة الأنبار هو وحريمه وحاشيته . وقد أرغم البساسيرى ، قبل مغادرته بغداد ، على كتابة عهد يعترف به بأنه لاحق لبنى العباس ولا له فى الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام . ثم بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل محفوظاً بقصر الخلافة حتى استولى صلاح الدين على محتويات هذا القصر سنة ٥٦٧ هـ فانفذه إلى الخليفة العباسى المستضئ بالله فى بغداد مع بعض التحف والهدايا على أثر وفاة آخر خلفاء الفاطميين بمصر . كذلك أرسل البساسيرى إلى المستنصر ثوب الخليفة العباسى وعمامته وغير ذلك من الأموال والتحف . وقد أثار وصولها وقيام الدعوة الفاطمية بمساجد بغداد حماساً كبيراً بين سكان مدينة القاهرة الذين

أقاموا الزينات إبتهاجاً بهذا النصر .

وعلى الرغم من المجهوادت التى بذلها البساسيرى فى سبيل نشر نفوذ الخلافة الفاطمية ببغداد إلا أنه لم يتلقى من الخليفة المستنصر مايشجعه على مواصلةالقيام ببسط سلطانه على بلاد العراق بسبب اضطراب أحوال المستنصر فى مصر نفسها آنذاك وانشغال الخليفة بالقضاء على الاضطرابات التى سادت البلاد على أثر الضائقة الاقتصادية التى ألمت بالبلاد فى عهده آنذاك ثم بعد ذلك بسبب قصور النيل وعُرفت بالشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤ هـ) .

ولمآ تم لطغرليك القضاء على ثورة أخيه ابراهيم ينال وقتله بالقرب من الرى بعد ان فشل فى استمالته إليه عوّل على المسير إلى بغداد لاعادة الخليفة العباسى إليها والقضاء على ماتم على يد البساسيرى . ولمآ اقترب طغرليك من بغداد أدرك البساسيرى أنه لاقبل له بمقاومة السلاجقة لأنه لم يتلق أى مساعدات من مصر ، ومن ثمَّ خرج من بغداد مع جنده منسحباً إلى الكوفة سنة ٤٥١ هـ وترك طغرليك وقواته يدخلون بغداد دون مقاومة .

ورأى طغرليك أن يبالغ فى الاحتفال بعودة القائم بأمر الله إلى بغداد ليُظهر له مدى إخلاصه له وخرج بنفسه لاستقباله عن مدخل المدينة وقبلّ الأرض بين يديه واعتذر له عن تأخره فى نجدته لانشغاله بالقضاء على ثورة أخيه . وأخبره بأنه عزم على المضى خلف البساسيرى والمسير إلى الشام ومصر للقضاء على الخلافة الفاطمية .

وبالفعل أرسل طغرليك قواته وتعقبت قوات البساسيرى وأوقعت بها الهزيمة عند الكوفة ، ونجحت فى القبض عليه وقتله (فى ذى الحجة) سنة ٤٥١ هـ وارسال رأسه إلى الخليفة ، وبذلك تيسر لطغرليك القضاء على حركة البساسيرى وإعادة الدعاء للخليفة العباسى القائم بأمرالله من على منابر بغداد والعراق بعد أن ظل يخطب فيها ويدُعى للخليفة الفاطمى لأكثر من عام .

وازداد نفوذ السلاجقة فى بلاد العراق فى منتصف القرن الخامس الهجرى فأستأثر طغرليك بالسلطة دون الخليفة العباسى بعد أن أنقذه من حركة البساسيرى وأعاده إلى مقر خلافته . وعلى أثر ذلك تزوج طغرليك من إبنة الخليفة العباسى (مع أنه جاوز السبعين) ووافق الخليفة على هذا الزواج مضطراً ، وكان هذا الزواج شرفاً لطغرليك لم يسبق إليه أحد من العجم . غير أن طغرليك لم يهنأ بهذا الزواج طويلاً فمالبث أن مرض ومات عام ٤٥٥ هـ .

ولقد سار جميع حكام السلاجقة على السياسة التى وضعها طغرليك تجاه الخلافة وهى الاخلاص لدولة الخلافة والاستمرار على الولاء للمذهب السنى مذهب الدولة العباسية ، مع إستئثارهم بالنفوذ الفعلى فى الدولة وبقاء النفوذ الشكلى فى يد الخليفة وأصبحت بذلك حالة الخلافة فى عهدالسيطرة السلجوقية لا تختلف إختلافاً كثيراً عما كانت عليه أيام بنى بويه . على أن معاملة السلاجقة للخلفاء العباسيين كانت أفضل بعض الشئ عن معاملة حكام البويهيين لهم، ويرجع السبب فى ذلك إلى اعتناق السلاجقة المذهب السنى مذهب الخليفة

العباسى وتحمسهم لهذا المذهب .

وقد اتفق جميع حكام السلاجقة على الحد من نفوذ الخليفة وتعسف بعضهم مع الخلفاء من ذلك ماقام به السلطان ملكشاه من تصميم على طرد الخليفة المقتدى من بغداد سنة ٤٨٥ هـ لأنه رأى فيه ميلاً إلى التدخل فى الحكم . كما أخذ سلاطين السلاجقة من الخليفة االمسترشد بالله بردة الرسول (ص) التى كان الخلفاء يرتدونها عند توليهم الخلافة وعند حضورهم الاحتفالات الدينية .

وقام السلاجقة بالقضاء على نفوذ الدعوة الشيعية فى العراق واضطهدوا أتباع هذا المذهب بها واشتدوا فى تعقب دعاة الاسماعيلية . ولم يكن الخلفاء العباسيون أقل تحمساً من السلاجقة فى القضاء على النفوذ الشيعى فى بلادهم فكانوا يرون فى أتباعه خطراً على خلافتهم وقد حاول هؤلاء الخلفاء استعادة سلطانهم القديم وسعوا لاحياء مجد الخلافة العباسية الأمر الذى ساعد إلى حد كبير على تقوية الشعور الاسلامى ضد الطوائف الشيعية .

عصر سلاطين السلاجقة العظام

يشمل هذا العصر حكم السلاطين العظام من آل سلجوق وهم:

طغرلبك، الب أرسلان، ملكشاه، وبركيا روق. ويعد هذا العصر العصر الزاهر لدولة السلاجقة ومن الممكن ان نطلق عليه عصر سلاطين السلاجقة العظام. ففي هذا العصر تمكن هؤلاء السلاطين من اقامة دولة قوية مترامية الأطراف تمتد من التركستان وبلاد ما وراء النهر شرقاً الى البحر المتوسط غرباً وأطلت على المغرب الاسلامى وعلى حدود الدولة البيزنطية.

واذا كانت هذه الدولة قد حملت اسم سلجوق بن دقاق وتسمت لذلك باسم دولة السلاجقة فإن حفيده طغرلبك بن ميكائيل يعد المؤسس الحقيقى لهذه الدولة، وهو الذى قضى نهائياً على حكم بنى بويه وتسلطهم على خلافة العباسيين وأحل السلاجقة محلهم فى الوصاية والهيمنة على الخلافة العباسية وهو الذى وضع الأساس المتين لهذه الدولة فأقام خلفاؤه البناء شامخاً من بعده فدوره فى الحقيقة دور التأسيس لهذه الدولة القوية.

الب ارسلان:

حين مات طغرلبك سنة ٤٥٥هـ لم يكن له ابن يرث العرش فبرزت مشكلة ولاية السلطنه بعد وفاته وأصبحت مثار التنافس بين افراد البيت السلجوقى. وكان جغرى بك أخو طغرلبك الأكبر قد توفى قبله سنة ٤٥١هـ وترك عدداً من

الأبناء كان أكبرهم ألب ارسلان الذى خلف أباه فى حكم خراسان وما وراء النهر، وكان على حكمها حين مات عمه سنة ٤٥٥هـ، وكان طبيعياً أن يعتبر الب أرسلان نفسه أحق أفراد البيت السلجوقى بعرش السلطنه، كما كان له وزير قوى النفوذ عظيم الكفاءة هو أبو على حسن بن على بن اسحاق الطوسى الملقب بنظام الملك، وكان هذا الوزير واسع الطموح يرغب فى أن يكون وزيراً لسلطان السلاجقة. فشجع ألب أرسلان على طموحه وزكى رغبته فى عرش السلطنه. وكان طغرلبك قد تزوج من أرملة أخيه جغرى بك بعد موته، ولها منه ابن يسمى سليمان فاستطاعت الأم أن تؤثر على السلطان حتى اختار إبنها سليمان ولياً للعهد رغم صغر سنه. وقام أبو نصر الكندرى وزير طغرلبك بتنفيذ وصية مولاه طغرلبك فأجلس سليمان على على عرش السلطنه بمدينة الرى وأمر أن تُقرأ الخطبة باسمه.

لم يقبل ألب أرسلان سلطنة أخيه الأصغر فصمم على السير الى الرى ولقى تصميمه هذا هوى فى نفوس كثير من أفراد البيت السلجوقى فاختاروا جانبه، بل أن بعضهم نادى به سلطاناً وخطبوا له فى منطقة قزوين. وخشى الوزير الكندرى مغبة الأمر فانضم إلى ألب أرسلان وأمر بأن تقرأ الخطبة باسمه فى الرى بأن يكون سليمان ولياً لعهده. بذلك استتب الأمر للسلطان ألب أرسلان فى ذى الحجة سنة ٤٥٥هـ واعترف به رئيساً للبيت السلجوقى وسلطاناً على دولة السلاجقة.

لكن أميراً سلجوقياً آخر ثار ضد طغرلبك وطلب لنفسه السلطنه وهو قتلمش ابن اسرائيل ابن عم جغرى بك، وسار الى الرى بقواته واستولى عليها وأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة. فأسرع ألب أرسلان ومعه وزيره نظام الملك الى الرى على رأس جيش كبير والتحم مع قتلمش فى معركة حامية بالقرب من الرى انهت بانتصار ألب أرسلان وقتل قتلمش، ودخول ألب أرسلان الرى سنة ٤٥٦هـ.

وما أن تخلص الب أرسلان من قتلمش إلا وثار ضده عمه بيغو بن ميكائيل الذى كان حاكماً على هراة والذى عز عليه أن يكون تابعاً لابن أخيه، فأعلن العصيان وحاول الاستقلال بالمناطق الخاضعة لحكمه، فسارع ألب أرسلان بقواته الى هراة لمقاتلة عمه ونجح فى ذلك والحق به الهزيمة سنة ٤٥٧هـ وتعهد بعدها باطاعة السلطان. وانتهز ألب أرسلان فرصة وجوده فى هذه البلاد فقام بتأديب كل من يخشى ثورتهم من أمراء هذه النواحى وأعاد الأمن الى نصابه فى جميع أنحاء خراسان وما وراء النهر ثم رجع الى مدينة نيسابور. ثم أخذ بعد ذلك يتفقد أجزاء دولتة المترامية الأطراف وقد استغرقت هذه الجولة نحو خمس سنوات أقر فيها الأمن والنظام فى كل البلاد السلجوقية.

وأخذ ألب أرسلان يتطلع الى توسيع دولته على حساب البيزنطيين فى آسيا الصغرى وعلى حساب الفاطميين فى الشام ليكسب بذلك عطف العالم السنى سواء بمجاهدة النصارى أو بمحاربة الشيعة.

ونجح ألب أرسلان فى غزو أرمينية وكانت الحاجز الذى يدفع عن الدولة البيزنطية ما يأتيها من هجمات من جهة المشرق فانفتح بذلك أمامه الطريق للتوغل فى آسيا الصغرى الأمر الذى أفزع الأمبراطور البيزنطى

وفى مدة قصيرة تمكن ألب أرسلان - بعد أن تجاوز أزربيجان - من الاستيلاء على الجزء الأكبر من البلاد الواقعة بين بحيرتى وان وأوروميه، كما فتح جورجيا وبلاد الأرمن وبسقوط مدينة آن عاصمة أرمينية القديمة انفتح المجال أمام القوات السلجوقية ليكيل الضربات السريعة للروم فى الولايات الأرمنية والأناضولية والقبادوقية وتتوسع فى تحركاتها فى آسيا الصغرى حتى وصلت الى عمورية فى مقاطعة فريجيا بعد ان استولت على كل قبادوقيا.

وأغضبت فتوح ألب أرسلان الأمبراطور البيزنطى رومانوس ديوجينيس R. Diogenes الذى قاد فى حماس بالغ الى ميدان القتال كل رجل استطاع ان يجنده من الولايات الأوروبية والأسيوية، وظل ثلاث سنوات متوالية يروح ويجىء فى أرمينيا وقبادوقيا محاولاً ضرب القوات السلجوقية دون جدوى، ثم قصد سوريا لضرب القوات الاسلامية هناك، وفعلاً الحق الهزيمة بقوات أمير حلب الذى كان يدين بالولاء للفاطميين، لكنه لم يستطع تحقيق نصر دائم واضطر الى التراجع الى بلده.

وأتاحت أعمال الأمبراطور البيزنطى فى الشام الفرصة للسلطان ألب أرسلان تحقيق هدف من أهداف السلاجقة وهو القضاء على الخلافة الفاطمية فى

الشام تمهيداً للقضاء عليها فى مصر فأرسل جيشاً قوياً بقيادة ابنه ملكشاه لفتح الشام. وحين أحس أمير حلب بقدوم الجيش السلجوقى خلع طاعة الفاطميين وانضم للسلاجقة وخطب للخليفة العباسى، وبذلك اتقى خطر الغزو السلجوقى لبلاده. كما تمكن ملكشاه من الاستيلاء على جزء كبير من بلاد الشام ووضع يده على بيت المقدس سنة ٤٦٣هـ ثم حاصر دمشق غير انه لم يتمكن من فتحها فى ذلك الوقت.

وبهذه الأعمال فى بلاد الشام نجح السلاجقة فى تأمين الجيش السلجوقى الرئيسى الزاحف الى بلاد الروم وتمهيد سبيله.

وأدرك الامبراطور ما يرمى اليه السلاجقة فقام بحركة مضادة وترك قوات السلاجقة فى الشام وقطع بجيشه آسيا الصغرى متجهاً صوب قلب الدولة السلجوقية وتوغل شرقاً حتى عسكر بجيشه عند ملاذ كرد (مانزيكرت) الواقعة فى أرمينية بالقرب من مدينة خلاط. وبعد مناوشات مع مقدمة الجيش الرومى أدرك ألب أرسلان أن من الصعب عليه أن يقاتل هذا الجيش البيزنطى الكبير وبخاصة انه لم يستطع أن يجمع قواته التى كانت مبعثرة ففضل أن يطلب الصلح وأن يؤجل ما عزم عليه من غزو بلاد الروم حتى يكمل استعداده، ولكن امبراطور الروم، وكان معتداً بقوته ومتلهفاً على ضرب السلاجقة رد على رسول السلطان بأن الصلح لا يتم إلا فى الرى عاصمة السلاجقة ولقد أزعج هذا الرد المتعجرف السلطان ألب أرسلان، وألهب فى نفس الوقت حماسه الدينى فأعلن

لجنوده أن الاسلام فى خطر واستثار عواطفهم الدينية بما أبداه من تضرع حتى لقد نزل عن جواده ومرغ وجهه فى التراب خضوعاً لله واستمطاراً لنصره وبذلك صبغ عمله بصبغة الجهاد الدينى.

وجاء اللقاء الحاسم عند ملاذكرد (مانزيكرت) ٧ ذى القعدة ٤٦٣هـ/٦أغسطس ١٠٧١م واستطاع الجيش السلجوقى بحماسه الملتهب أن يعوض النقص الكبير فى عدده الذى لم يكن يتجاوز الخمسة عشر ألفاً جندى يقاتلون أكثر من مائتى ألف جندى، استطاع هذا الجيش ان يحرز نصرا حاسماً وان يقتل أعدادا كبيرة من جيش الروم وان يأسر الأمبراطور الرومانى نفسه. ويرجع هذا النصر الساحق الى قوة ايمان المسلمين واعتبار حربهم مع النصارى جهاداً فى سبيل الله، كذلك بسبب خفة حركة فرسان السلاجقة فى مواجهة فرسان البيزنطيين المثقلين بالدروع، فضلاً عن هروب عدد كبير من جنودهم لحظة الالتحام مع جيوش المسلمين بسبب قلة ايمانهم وضعف روحهم المعنوية.

واضطر الامبراطور البيزنطى ان يفتدى نفسه (بدفع مليون ونصف مليون دينار)، وان يعقد معاهدة صلح مع ألب أرسلان يدفع بمقتضاها جزية سنوية كبيرة للسلاجقة وأن يسلم للسلاجقة مدن انطاكية والرها ومنبج وأن يطلق سراح أسرى المسلمين وأن يرسل إلى السلطان السلجوقى عساكر الروم حين يطلبها تقاتل لحسابه وأن تسرى بنود هذه المعاهدة لمدة خمسين عاماً.

وحين عاد الامبراطور المهزوم الى بلاده لقى مصيراً مؤلماً، فقد وثب على

السلطة شاب ثائر يدعى (جون دوكاس)، نجح فى القبض على الامبراطور المهزوم وقام بتعذيبه وسمل عينيه وحبسه وتوفى بعد ذلك بأيام قليلة.

ولكن خلفه (دوكاس) لم يستطع إلا أن يقر المعاهدة التى وقعها سلفه مع ألب أرسلان وبذلك صرف الروم نهائياً نظرهم عن آسيا الصغرى.

ويُعد انتصار السلاجقة الحاسم فى معركة مانزيكرت علامة بارزة فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ونقطة تحول خطيرة فى كل من التاريخ الاسلامى والتاريخ البيزنطى على حد سواء. فقد ترتب على هذه المعركة ضياع الأجزاء الشرقية من الامبراطورية البيزنطية التى كانت بمثابة مخزن بشرى لبيزنطة يمدها بالجند والقادة وقتما تريد. ولم يستطع البيزنطيون بعد هذه المعركة أن يوقفوا التوسع الاسلامى السلجوقى فى آسيا الصغرى التى قام فيها فرع سلجوقى بتأسيس دولة له فيها وعرفت بدولة سلاجقة الروم وأصبحت آسيا الصغرى موطناً لكثير من القبائل التركية التى أنشأت فيها لنفسها امارات خاصة كانت تمد فى رقعتها على حساب البيزنطيين الذين انحسر نفوذهم نهائياً عن أملاكهم الآسيوية. وسرعان ما نجد احدى القبائل التركية المعروفة بالعثمانيين تستطيع فيما بعد أن تجهز على الدولة البيزنطية نفسها وتستولى على حاضرتها القسطنطينية (١٤٥٣) محققين بذلك حلماً طالما راود المسلمين منذ العصر الأموى.

ومن ناحية أخرى فلقد أدى أنكسار الروم فى مانزيكرت إلى استغاثة

البيزنطيين بالغرب الأوروبى مما أدى إلى فتح سلسلة طويلة من الصراع بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى فى الصراع الذى عُرف فى التاريخ باسم الحروب الصليبية .

أما السلطان ألب ارسلان فإنه لم يعش طويلاً بعد إنتصاره فى مانزيكرت فقد قُتل بعد عام وبضعة أشهر من هذا الفوز العظيم على يد أحد الثائرين فى الشرق وذلك بعد أن فرغ من قتال الروم توجه إلى المشرق لقمع فتنة قام بها الخانيون وعبر نهر جيحون فى أوائل عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م ، ولماً قبض على قائدها وكان يُسمى يوسف الخوارزمى أراد السلطان أن يقتله بنفسه لشدة عدائه للسلطان واستمراره فى شتمه ، لكن هذا هاجمه بسكين كان يخفيها وطعنه طعنة نافذة مات بها بعد أيام ، ودُفن فى مدينة مرو بعد حكم قارب العشر سنوات وانتهى بذلك حكم هذا الحاكم العظيم ليخلفه فى حكم دولة السلاجقة إبنه السلطان ملكشاه .

ملكشاه :

كان الب أرسلان قد أكد قبل وفاته أن يتولى السلطنه من بعده إبنه ملكشاه وكان قد تعهده فى حياته بالرعاية وأعده للسلطنه من بعده . غير أن ملكشاه ، عند وفاة أبيه ، لم يكن قد تجاوز السابعة عشرة من عمره فقام على تدبير الأمر له وزيره نظام الملك الطوسى الذى أخذ البيعة من الأمراء لملكشاه ثم دبر له شئون الدولة أحسن تدبير .

وعلى الرغم من أن ملكشاه تولى السلطنه بناءاً على وصية أبيه إلا أن صغر سنه أطمع فيه بعض امراء السلاجقة فنافسوه فى الحكم على عادتهم عند وفاة أحد سلاطينهم . فثار عليه عمه قاورد صاحب كرمان معلناً أحقيته فى السلطنه دون ملكشاه لكن نظام الملك وملكشاه هزما قاورد بالقرب من همذان وأمر ملكشاه بقتله للتخلص من شره لكنه أقر كرمان بيد أولاده فتوارثوا حكمها زمناً طويلاً إلى عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وسميت دولتهم فى التاريخ باسم (سلاجقة كرمان) أما نظام الملك فقد علا شأنه فرد السلطان الأمور كلها إليه واقطعه إقطاعاً وافراً وخلع عليه ولقبه ألقاباً من جملتها لقب (أتابك) ومعناه الأمير الوالد وذلك لما أظهر من كفاءة وشجاعة وحسن تدبير .

ولكى يوطد ملكشاه حكمه فى المشرق أرسل إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله يطلب منه تجديد الاعتراف بسلطنته فلم يتردد الخليفة فى إجابة طلبه وأمرأن يخطب له من بعده فوق منابر العراق .

وقام ملكشاه بتوطيد ملكه فى المشرق ، وفى نفس الوقت أراد أن يكمل مشروعات أبيه التوسعية فى بلاد الشام وآسيا الصغرى فأرسل قائده أتسزسنة ٤٦٧هـ إلى الشام فاستولى على دمشق وأزاح عنها حكم الفاطميين . وأقطع ملكشاه أخاه تاج الدولة تُتُشْ بلاد الشام وأعمالها ، واتخذ تُتُش من دمشق حاضرة له وتفرغ لمواجهة الفاطميين فى الشام وأسس هنالك فرعاً سلجوقياً عُرف باسم سلاجقة الشام .

وفى عام ٤٠ هـ أقطع ملكشاه سليمان بن قتلمش أملاك السلاجقة فى آسيا الصغرى فأسس هنالك فرعاً سلجوقياً عُرف باسم سلاجقة الروم. ويُعد سليمان هذا المؤسس الحقيقى لدولة سلاجقة الروم التى كتب لها أن تكون أطول دول السلاجقة عمراً، فقد ظلت تحكم هذه لبلاد إلى عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م . وقد تمكن سليمان من توطيد نفوذ السلاجقة فى آسيا الصغرى ثم حاول التوسع فى فتح أقاليم جديدة ففتح أنطاكية سنة ٤٧٧ هـ/١٠٨٤ م وكانت انطاكية من بلاد الشام غير أنها كانت تحت حكم الروم منذ عام ٣٥٨ﻫ ولذلك فإن فتحها كان بالغ الأهمية لأنه أوصل نفوذ السلاجقة إلى سواحل البحر المتوسط ، لأول مرة . وقام ملكشاه بالاستيلاء على حلب وأقطعها إلى مملوكه آقسنقر والد عمادالدين زنكى الذى سوف يكون له دور كبير هو وإبنه نور الدين محمود فى مقاتلة الصليبيين .

وحين فرغ ملكشاه من اقرار الأمور فى الجزء الغربى من دولته رحل إلى بغداد حيث توطدت بينه وبين الخلافة أواصر الصلة إذ زوّج إبنه إلى الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله أوائل عام ٤٨٠هـ /١٠٨٧م . فازداد نفوذ السلاجقة بذلك استقراراً فى جميع المناطق التى تحت أيديهم وأصبحت قوتهم أكبر قوة فى المشرق الاسلامى .

وآن لملكشاه وقد وطد دولته فى المغرب أن يتجه إلى المشرق فيخضع أقليم ماوراء النهر ، حتى يثأرلمقتل والده فى هذه الديار وقد واتته الفرصة حين

شكا اليه علماء ماوراء النهر من ظلم أميرها أحمد خان وكان شابا قبيح السيرة فى الناس حتى استغاثوا بالسلطان ،وسألوه القدوم اليهم ليملك بلادهم . ولم يفوّت السلطان هذه الفرصة فتقدم بقواته إلى بلاد ما وراء النهر فهزم أحمد خان واستولى على كل بلاد ماوراء النهر ثم تجاوزهاإلى إقليم كاشغر على حدود الهند مع الصين وأخضع واليها ، وبذلك بلغ ملك السلاجقة أقصى إتساع له شرقاً وغرباً فقد شمل المناطق الواقعة بين كاشغر فى الشرق وانطاكية فى الغرب ، أى من حدود الهند شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً ، وضم تحت لوائه أقاليم ماوراء النهر وفارس وآسيا الصغرى والعراق والشام. وليؤكد نظام الملك مدى قوة السلاجقة أمام خصومهم أمر رسول ملك الروم الذى جاء بالجزية المفروضة على بلاده منذ موقعة ملازكرد أن يحملها إلى السلطان وهو فى كاشغر، كما أمر الملاحين الذين يعملون في نهر جيحون أن يحملوا الرسوم المقررة عليهم إلى عامل السلطان فى أنطاكية .

بعد أن نجح ملكشاه فى اقرار هيبته فى جميع أرجاء دولته المترامية الأطراف عاد إلى أصفهان ، غير أن الأحداث لم تلبث أن تطورت تطوراً آخر، وذلك فيما يتصل بالعلاقة بين السلطان ووزيره نظام الملك .

وكان للوزير نظام الملك دور عظيم فيما وصل إليه ملكشاه من هيبة وسلطان وكان ملكشاه يحتفظ لوزيره بأياديه البيضاء عليه ففوضه فى ادارة شئون الدولة تفويضاً كاملاً وأسبغ عليه من الآلقاب والتكريم مالم يتمتع به وزير

آخر غيره .

ولكن العلاقات ساءت بين الطرفين فى آواخر أيامهما ، بسبب كثرة حساد نظام الملك لمكانته فى الدولة وعند السْلطان فأخذوا يكيدون له عنده . وتفاقم خطر هؤلاء الحُساد بانضمام تركان خاتون زوجة ملكشاه ضده بسبب وقوف نظام المُلك دون جعل ولاية العهد لابنها الصغير محمود وجعلها لبركياروق ابن الملك الأكبر . ونجح المتآمرون ضد الوزير فى إيغار صدر السلطان ضده فتآمر على اغتياله على يد أحد رجال الفداوية الاسماعيلية الباطنية .

والاسماعيلية هم إحدى فرق الشيعة ويقولون باثبات الامامة إلى اسماعيل إبن جعفر الصادق ويرون أنه أحق بالامامة من أخيه موسى الكاظم . ومن أهم الأسس التى يقوم عليها مذهبهم ايمانهم أن للعقيدة ظاهراً وباطناً وللتنزيل معان ظاهرة يعرفها الناس وأخرى باطنة يعرفها الامام ولذلك سموا بالباطنية وسموا أيضاً بالحشاشين .

وقد انتشر دعاة الاسماعلية فى جميع الأقطار الاسلامية للترويج لدعوتهم واتيح لهم إقامة دولاً لهم منها دولة القرامطة سنة ٢٨٧ هـ فى الشام والعراق وعمان والبحرين وأقاموا الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر والشام . وازداد ظهور هذا المذهب فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى وأصبح قوياً على يد الحسن بن محمد بن الصباح الذى استولى على قلعة ألموت سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٧ م وكون له دولة كبيرة وكثرُ مريدوه .

وقد ربى أتباعه على الفدائية واستطاعوا تكوين معاقل لهم حصينة فى الجبال . واتخذ الفداوية طريق إغتيال أعدائهم من القواد والأمراء والخلفاء والسلاطين وسيلة لازالة كل معترضيهم الأمر الذى أثار قلقاً شديداً فى جميع أنحاء الدولة السلجوقية . وكان أبرز عمل ينسب إلى الاسماعيلية فى عهد ملكشاه هو قتلهم لوزيره نظام المُلك فى رمضان سنة ٤٨٥ .

ويقال أن السلطان كان قد ضاق بقوة نفوذ نظام الملك فدبر مؤامرة للقضاء عليه فتم قتله على يد فتى من فتيان الاسماعيلية الفداوية .

والواقع أن مكانة نظام الملك كانت قد تزعزعت فى أيامه الأخيرة وذلك لأن أهله وأتباعه استغلوا مركزه ونفوذه فسيطروا على مراكز الدولة ولم يحسنوا السيرة معتمدين على قوة شخصية نظام الملك وسوابق خدمته للسلطان. ولما كان نظام الملك قد تقدمت به السن وأصبح شيخاً كبيراً محطماً فأنه كان فى حاجة إلى الاستعانة بأهله وأتباعه ولم يكن فى إمكانه السيطرة وتقويم المعوج منهم الأمر الذى جعل السلطان ملكشاه ينفر من نظام الملك ويحاول التخلص منه. وقد أتاح هذا الشعور من السلطان لمنافسى نظام الملك وحساده فرصة الدس بينه وبين السلطان ونجحوا فى ذلك حتى إزدادت إلى درجة لم يجد السلطان بداً إلا أن يتخلص من وزيره المخلص بالقتل بعد توليه الوزارة مدة ثلاثين عاماً له ولأبيه . ولم يعش السلطان السلجوقى بعد وفاة وزيره سوى خمسة وثلاثين يوماً وتوفى على أثر حمى أصابت أمعاءه .

وانتهى بوفاة ملكشاه عهد السلاطين السلاجقة العظام ، وانفرط بعده عقد السلاجقة وانقسموا على أنفسهم وانحدرت دولتهم نحو الضعف والانهيار .

بركيا روق (٤٨٧ -٤٩٨ هـ/ ١٠٩٤ -١١٠٤ م) :

يُعتبر عهد بركيا روق بن ملكشاه وسطاً بن عصرين : عصر وحدة السلاجقة وعصر انقسامهم . وعلى الرغم من أن بركيا روق إستطاع أن يتولى سلطنة السلاجقة إلا أن عهده كان عهد اضطراب وحروب بين أفراد البيت السلجوقى انتهى بانقسام الدولة السلجوقية إلى أقسام تكاد تكون منفصلة بعضها عن بعض . ومنذ نهاية عهد بركيا روق لم تتوحد الدولة إلا لفترة قليلة تحت حكم أخيه سنجر فلقد كان قتل نظام الملك وموت ملكشاه بعده بقليل من أهم الأحداث التى وقعت فى تاريخ السلاجقة إذ إنتهى باختفاء السلطان ووزيره من المسرح السياسى عهد القوة والاتحاد وبدأ عهد جديد من الضعف والانقسام . وكان أهم مظهر من مظاهر هذا العهد الجديد هو أن الظفر بمنصب السلطنة أصبح غاية فى ذاته .

فكثر النزاع بين أفراد البيت السلجوقى ولم تُعد الدولة فى هذا العهد تخضع لسلطان واحد بل كان يتنازعها أكثر من سلطان فى وقت واحد ولم يعد هم أمراء السلاجقة نصرة الاسلام وتوسيع أملاك الدولة السلجوقية كما كان الحال فى عهد سلاطين السلاجقة الأول وإنما كان همهم القضاء على بعضهم البعض حتى يخلو الجو للمنتصرمنهم ومن ثمَّ وقعوا فى حروب أسرية أدت إلى

اضعافهم جميعاً وإلى اسقاط دولتهم فى آخر الأمر .

وكانت أولى المشاكل التى واجهت الدولة السلجوقية بعد موت ملكشاه هى مشكلة إختيار السلطان الذى يخلفه ، ولقد برزت هذه المشكلة قبل موت السلطان وكانت سبباً من أسباب الجفوة بين السلطان ووزيره ، وقد مات الرجلان قبل الوصول إلى رأى حاسم فى هذه المسألة .

كان التنافس على العرش محصوراً بين بركيا روق الابن الاكبر لمكشاه يؤيده أتباع نظام الملك وبين أخيه الطفل محمود الذى تعمل أمه تركان خاتون باسمه ويناصرها تاج الملك الشيرازى الوزير الذى إحتل مكان نظام الملك، وبذلك انقسم السلاجقة إلى معسكرين متنازعين يجاهر كل منهما بعدائه للآخر . وكانت الظروف فى أول الأمر تبدو فى صالح تركان خاتون . فقد مات ملكشاه فى بغداد مقر الخليفة العباسى الذى يُرجع إلى رأيه فى تعيين السلطان ، بينما كان بركياروق فى أصفهان . ولذلك استطاعت تركان خاتون أن تجعل الخليفة يعترف بإبنها محمود سلطاناً ، وخطب له فى ٢٢ شوال ٤٨٤هـ/ ١٠٩٢ م ثم أمرت بالقبض على بركيا روق فقبض أتباعها عليه وسجنوه فى أصفهان . لكن أتباع نظام الملك هبوا لنصرة بركيا روق واستطاعوا إخراجه من السجن ونادوا به سلطاناً ، وبذلك أصبح للسلاجقة سلطانان فى وقت واحد : محمود فى بغداد وبركيا روق فى أصفهان وأصبح لامفر من الاحتكاك بين الطرفين . وقد بدأت قوات تركان بالهجوم ولكن قوات بركيا روق تؤيدها النظامية (أتباع نظام

الملك)ألحقت الهزيمة بها ، وقبض النظامية على الوزير تاج الملك الشيرازى وقتلوه انتقاماً لمصرع نظام الملك فقد كان الوزير متهماً بالتآمر على نظام الملك، وولىٌ النظامية . عز المُلك بن نظام المُلك الوزارة وكان مقيماً بأصفهان، .وقبل أن يلتقط بركيا روق أنفاسه من حربه مع أخيه كان عليه أن يواجه عمه تُتُش صاحب دمشق الذى رأى فى تنازع إبنى أخيه على السلطنة فرصة لا نتزاعها لنفسه .

وتوجه بركيا روق إلى بغداد حيث اعترف به الخليفة المقتدر بالله سلطاناً على السلاجقة وخطب له فى ١٤ المحرم ٤٨٧ هـ/١٠٤٩ م ، غير أن الخليفة مات فجأة فى اليوم التالى وبويع لإبنه المستنصر بالله فأقر هذا بركيا روق على السلطنة وأرسل اليه التقليد بذلك .

ولم يقبل تُتُش سياسة الأمر الواقع ، بل استعد لانتزاع السلطة من ابن أخيه فاستولى على حلب ودياربكرو آذربيجان وهمذان .

ولقد خدمت الظروف بركيا روق وذلك أن تركان خاتون ماتت وبعدها مات ابنها محمود بفترة قصيرة فانحاز أنصاره إلى بركيا روق وبايعوه ثم انضم اليه مؤيد الملك أكفأ أبناء نظام الملك فأسند إليه الوزارة وبعد ذلك توجه بركيا روق بقواته لمقاتلة عمه تُتُش فنجح فى هزيمته وقتله فى معركة قرب مدينة الرى سنة ٤٨٨هـ.

وكان أخطر ما واجه بركيا روق هو الصراع الذى إحتدم بينه وبين أخويه محمد وسنجر ، وقد استمرت المعارك. بينهم نحو ٥ سنوات (من٤٩٢ -

٤٩٧هـ) تداولوا فيها النصر والهزيمة . ولما سئم بركيا روق كثرة الحروب كاتب أخاه محمداً فى طلب الصلح فاتفق الطرفان على أن يحمل كل منهما لقب سلطان وأن تكون الأقاليم الشمالية لمحمد وأن تكون الأقاليم الجنوبية لبركيا روق وأن تبقى خراسان وما جاورها تحت حكم سنجر . واستمر هذا الاتفاق قائماً حتى توُفى بركيا روق عم ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م وهكذا انقسمت دولة السلاجقة بين إخوة بركياروق، كما ظلت بلاد الشام فى قبضة أبناء تتش وآسيا الصغرى تحت حكم أبناء سليمان بن قتلمش ، وكان كُل يسيطر على ما تحت يده سيطرة تامة . فتقسمت بذلك الدولة السلجوقية العظيمة ولم تعد تلك الوحدة الرائعة التى رأيناها فى عهد طغرلبك والب أرسلان وملكشاه ولم يُكتب لها أن تتوحد بعد ذلك إلا فترة قليلة من عهد سنجر . ويمكن القول أن الدولة السلجوقية بعد بركيا روق دخلت فى دور النهاية مع أنها استمرت بعده نحو قرن من الزمان (٤٩٨-٥٩٠هـ) إلا أن نهايتها باتت مؤكده منذ ذلك الوقت .

وكان لهذا النزاع السلجوقى آثاره الخطيرة على العالم الاسلامى ؛ فإن الاسماعيلية نشطوا فى تلك الفترة فوسعوا منطقة نفوذهم ووصلت دعوتهم وأعمالهم إلى أصفهان إحدى عراصم الدولة السلجوقية وبثوا الرعب فى قلوب الناس بما كانوا يقومون به من الخطف والقتل . ولم يستطع الجيش السلجوقى الاستيلاء على قلعتهم الكبرى آلموت وظلوا يهددون المناطق المجاورة وجهات بعيدة من العالم الاسلامى .

كذلك أدى انقسام السلاجقة وانشغالهم بصراعهم الداخلى إلى انشغالهم عن الخطر الخارجى الذى أخذت تتجمع نذره فى الجبهة الغربية ، فأن السلاجقة فى وقت توحدهم وقوتهم الحقوا هزائم كبيرة بالدولة البيزنطية واقتطعوا جزءاً كبيراً من أملاكها فى آسيا الصغرى ومازالوا يكتسحون هذه البلاد حتى بحر مرمره وهددوا القسطنطينة نفسها الأمر الذى جعل الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين يستنفر البابا أوربان الثانى فى عام ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م فوجد هذا الفرصة سانحة لارجاع كنيسة القسطنطينية (اليونانية) إلى حظيرة روما ثم ارجاع بيت المقدس واعادة مجد البابا وية . فألقى خطبة فى مجمع كليرمونت من أعمال فرنسا الجنوبية حث فيها المسيحيين المؤمنين على سلوك الطريق إلى كنيسة القيامة وانتزاعها من أيدى المسلمين . وقد وجد نداء البابا أذناً صاغية لدى فرسان الاقطاع فى أوربا الذين ضاقت أوربا بطموحهم كما وجد الناس فيه فرصة للخروج من البؤس والفقر الذى يعيشونه وكذلك وجد فيه الملوك فرصة لتحقيق مغانم كبيرة فى الشرق وتكوين امارات وممالك لهم هناك . وحمل الجميع الصليب الذى كان الشعار الوحيد على وحدتهم التى لم تكن موجودة فى الأصل.

وبدأت الحملات الصليبية على العالم الاسلامى فى الوقت الذى كان فيه السلاجقة يزاولون هذا النشاط الخطير فى القضاء بعضهم على بعض . وإذا كان المشرق الاسلامى يموج بصراع السلاجقة الداخلى فإن المغرب الاسلامى كان يحكمه الفاطميون الذين حكموا الشام منطقة الطمع الصليبى ، وبسبب ضعف هذه الدولة نجح الصليبيون فى إقامة أربع إمارات صليبية بها هى الرها سن

٤٩٢ هـ/١٠٩٨ م وانطاكيـة سنة ٤٩١ /١٠٩٧ م وطرابلس وبيت المقـدس ٤٩٢ /١٠٩٨ م.

وبهذا التحول من التماسك إلى الفرقة ومن الجهاد في سبيل حماية العالم الاسـلامى ومـد نفـوذه إلى الانصـراف إلى الصـراع الداخلى خـرجت الدولة السلجوقية من دور القوة إلى دور الضعف ودخلت عصر الانقسام.

ولقد انتـهى عـهد بركيـا روق بانقسـام دولة السـلاجقة وتفكيك وحدتهم نتيجة للنزاع الذى قام حول العرش السلجوقى ونتيـجة للخصومات التى وقعت بين الوزراء والأمـراء ، يضـاف إلى ذلك الأخطار التى هددت كيـان الدولة من خارجها وأهمها قدوم الصليـبيين وسيطرتهم على معظم بلاد الشام وتهديدهم للدولة السلجوقيـة من هذه الناحية ثم الاسماعيلية الذين كانوا يكمنون فى داخل الدولة ويسيـطرون على القلاع الحصينة وعجز الجيـوش السلجوقية عن القضاء على قـوتهم أو الحد من نشـاطهم . ولقد ظلت كل هذه العـوامل تنخر فى الدولة حتى أتت عليها فى آخر الأمر .

وقد حاول السلطان محمد الذى تفرد بـالسلطة بعد وفاة أخيه بركيا روق أن يعيد وحدة الدولة السلجوقية وأن يتصدى للأخطار الخارجية التى أحاطت بها من كل ناحيـة دون جدوى ، فإن النزعة الانفصالية لدى أمـراء السلاجقة كانت أقوى من أن تتـغلب عليـها جـهـود السـلاطين لأنهم هم بذاتهم كـانوا يشـعلون نارها ليصلوا إلى العرش .

وفى هذا العصر الذى تلا موت بركيا روق لا نستطيع أن نتحدث عن السلاجقة كوحدة وانما نتحدث عن أقسام الدولة السلجوقية : وأهم هذه الأقسام هما : سلاجقة خراسان وسلاجقة العراق .

وكان أهم حكام سلاجقة خراسان هو السلطان سنجر ، ويُعد سنجر من السلاطين العظام ، فقد اعترف به السلاجقة سلطاناً وزعيماً عليهم كما اعترف له الخليفة العباسى بهذه المنزلة فعُد لذلك آخر سلاطين السلاجقة العظام الذين اعترف لهم جميع حكام السلاجقة بالسلطنه والزعامة .

وكان سنجر والياً على خراسان وما وراء النهر فى عهد أخويه بركيا روق ومحمد وكان يُسمى ملك المشرق ، وقد ظل سنجر فى المشرق بعد توليه عرش السلطنه فأطلق على السلاجقة الذين يحكمهم اسم سلاجقة خراسان تمييزاً لهم عن سلاجقة العراق . وقد استطاع سنجر وقبل توليه عرش السلطةأن يوطد نفوذه وأن يفتتح بلاد ترمذ وطخارستان فى عام ٤٩١هـ وضمها إلى ملكه ، كذلك بسط نفوذه على اقليم ماوراء النهر سنة ٤٩٥هـ واستولى على مدينة غزنة بعد هزيمة مليكها الغزنوى أرسلان شاه سنة ٥٠٨هـ.

وقد ازدادت قوة سنجر بعد توليه السلطنة وتجلت هذه القوة فى انتصاره على ابن أخيه محمود بن محمد ، وكان قد تولى السلطنه بعد وفاة أبيه محمد فبسط سنجر نفوذه على أكثر أجزاء فارس والعراق وبلاد ماوراء النهر وأرمينية والموصل ودياربكر وربيعة . ولما أصبح سنجر سلطاناً للسلاجقة لم يذهب إلى

بغداد ولم يستوطن العراق بل أناب عنه فيها ابن أخيه محمود وسمح له بالتلقب بلقب سلطان فأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية تابعاً لسلطنه سنجر فى خراسان . كما أصبحت سلطنة العراق فى عهد سنجر لا يرتقى أحد عرشها إلا من ارتضاه هذا السلطان الذى حكم لمدة أربعين عاماً . وقد كان سلاطين العراق يدفعون الجزية لسنجر ويذكرون اسمه فى الخطبة قبل أسمائهم .

غير أن الحروب لم تنقطع فى عهد حكم سنجر ، وكان مثار هذه الحروب التى خاضها سنجر وأخطرها هى الحروب بينه وبين دولتين جديدتين ظهرتا على مسرح الأحداث فى المشرق وكان لهما دور موجه فى تاريخ السلاجقة بصفة خاصة وفى توجيه سير الأحداث فى العالم الاسلامى بصفة عامة وهما الدولة القُرخطائية والدولة الخوارزمية وهذه الأخيرة هى التى أنهت حكم السلاجقة فى المشرق كما أعانت على القضاء عليهم فى العراق .

الدولة القُره خطائية :

تُنسب هذه الدولة إلى مجموعة من القبائل التركية تُعرف بقبائل الخَطا كانت تسكن شمال شرق فارس فى عهد السلاجقة ، وقد استطاعت هذه القبائل أن تثبت أقدامها فى هذه المنطقة وأن تؤسس لها دولة فى حوالى سنة ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م عُرفت بالدولة القرخطائية وكان يُطلق على ملوكها لقب كرخان ، وقد اتخذت من مدينة بلاجستون على نهر سيحون حاضرة لهم . وقد هاجم القرخطائيون أملاك السلاجقة فيما وراء النهر واستولت على مدينة كاشغر

ومدينة ختن ثم أخذت فى عام ٥٢١ هـ فى الاغارة على البلاد الاسلامية وقامت بأعمال مدمرة حتى أصيب الناس بذعر شديد واستنجدوا بالسلطان سنجر .

ولم يجد سنجر بداً من قتال هذه القبائل فتوجه بقواته إلى ماوراء النهر فى عام ٥٢٥ هـ ولما أحس هؤلاء بقوة سنجر أرسلوا إليه يعتذرون ويتعهدون بالخضوع له والطاعة ولكنه صمم على استئصال شأفتهم فنازلوه مستميتين واستطاعوا أن يلحقوا به هزيمة منكرة سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤١ م عند قطوان (بالقرب من سمرقند) حيث فر هارباً تاركاً زوجته أسيرةً فى يد أعدائه . واستولى القراخانيون بعد ذلك على مدن بخارى وسمرقند من مدن ماوراء النهر الكبرى .

وقد كانت معركة قطوان حداً فاصلاً بين عهدين من سلطنة سنجر : عهد القوة وسعة النفوذ وعهد الضعف والانهيار ، كما كانت آثارها خطيرة على السلاجقة فقد قوى أمر الخطائيين وصاروا خطراً كبيراً يهدد سلاجقة المشرق .

وقد استمرت دولة الخطائيين حتى عام ٦٠٩هـ / ١٢٠٢م حينما قضى عليها الخوارزميون بقيادة السلطان علاء الدين محمد الخوارزمى . ولقد كان من نتيجة هزيمة سنجر فى قطوان أن تجرأ عليه حكام الدولة الخوارزمية وتمردوا عليه وأخذ منذ ذلك الوقت نجم السلاجقة فى الأفول تدريجياً حتى سقوطهم نهائياً على يد الخوارزميين .

الدولة الخوارزمية :

يرجع نسب ملوك هذه الدولة إلى عبد تركى كان يُسمى أنوشتكين ، اشتراه أحد أمراء السلاجقة من غرجستان ، وقد أظهر هذا العبد كفاءة ولياقة فتحت أمامه باب الترقى فى عهد السلطان ملكشاه ، فعينه والياً على خوارزم وقد ظل فى منصبه هذا حتى وفاته بها سنة ٤٩٠ هـ . وخلفه على ولاية خوارزم إبنه قطب الدين محمد الذى أطلق على نفسه لقب خوارزمشاه أى ملك خوارزم ، وأسس دولة عُرفت فى التاريخ باسم الدولة الخوارزمية . وقد أخذت هذه الدولة تظهر على مسرح التاريخ تدريجياً ولو أن ملوكها تظاهروا بالخضوع والطاعة للسلاجقة فاعتبروا أنهم معينين من قبلهم .

وبعد وفاة قطب الدين أسند السلطان سنجر السلجوقى ولاية خوارزم إلى إبنه علاء الدين أتسز ، وظل أتسز على وفاق مع السلطان سنجر السلجوقى الذى وثق فيه وصحبه فى أسفاره وحروبه فعلا أمره وظهرت كفايته . فلما إطمأن إلى قوته حاول أن يجعل دولته مستقلة إستقلالاً تاماً عن السلاجقة فثار فى سنة ٥٣٠ هـ على السلطان سنجر وأستطاع أن يضم إلى ملكه الهضاب الواقعة فى أسفل نهر جيحون ، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل النزاع بين السلاجقة والخوارزميين .

وفى هذه المرحلة التحم السلطان سنجر بقوات أتسز عدة مرات منذ سنة ٥٣٣ هـ إلى سنة ٥٤٣ هـ وكانت كفة سنجر هى الراجحة ، ولكن أتسز أظهر

كثيراً من الدهاء والبراعة فى تثبيت أركان دولته .

وأثناء محاربة سنجر للخوارزميين تعرض للحرب مع قوة جديدة هى قوة الدولة الغورية التى كانت تسيطر على جبال الغور وعلى مدينة فيروزكوه بالقرب من غزنة ثم امتد نفوذها إلى هراه وبلخ . ولذلك اضطر السلطان سنجر إلى محاربة ملك الغور علاء الدين حسين الغورى حين استولى على مدينة بلخ وانتصر سنجر على علاء الدين وأسره لكن بعد ذلك عفا عنه وأطلقه . لكن علاء الدين ازداد قوة وزحف نحو غزنة واستولى عليها . كل تلك الأحداث سارت بالسلاجقة فى المشرق إلى الانهيار لكن الحادث الذى عجل بالخاتمة هو تلك الفتنة التى قامت بها قبائل الغُز وهى قبائل تركية مسلمة تسكن اقليم ماوراء النهر بالقرب من بلخ وقاتلت هذه القبائل السلطان سنجر وأوقعت به هزيمة ساحقة ووقع هو نفسه أسيراً فى أيديهم وظل فى أسرهم مدة ثلاث سنوات استطاع بعدها الهرب والوصول إلى مرو لكنه مات هنالك كمداً سنة ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م .

وبموت سنجر انتهى عهد سلاطين السلاجقة العظام وأخذت دولتهم فى الانهيار فلم يلبث حكام خوارزم أن استولوا على ممتلكات السلاجقة فى خراسان فسقطت بذلك دولة خراسان أو دولة سلاجقة المشرق العظام ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة . أما سلاجقة العراق فإنهم أخذوا يسيرون نحو الضعف والانهيار حتى سقطت دولتهم سنة ٥٩٠ هـ على أيدى حكام الدولة الخوارزمية أيضاً .

سلاجقة العراق :

فى الوقت الذى كانت الاضطرابات فيه تعم الأجزاء الشرقية من دولة السلاجقة كانت أجزاؤها الغربية تموج باضطرابات أشد . وكان مرد هذه الاضطرابات إلى عدة أمور أهمها : النزاع الذى كان يحتدم دائماً حول تولى العرش .

ثم الخلاف الذى نشب بين الخلافة العباسية وبين السلاجقة واستفحل حتى أخذ مظهر الحرب بينهما ، ثم بروز نفوذ الأتابكة .

وبالنسبة للنزاع حول العرش نجد أنه بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١١ هـ/ ١١١٧م قام نزاع حول العرش وانقسم السلاجقة على أنفسهم فى الوقت الذى كان فيه أعداؤهم يتربصون بهم الدوائر . وكان السلطان محمد قبل وفاته قد أمر باسناد السلطنه من بعده إلى إبنه محمود ، وحين وليها محمود هذا كان صغيراً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره . لكن عمه سنجر ، والى خراسان وماوراء النهر ، أنف من أن يكون تابعاً لابن أخيه فأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة ، وبذلك أصبح للسلاجقة سلطانان انقسمت بينهما الدولة إلى قسمين : القسم الشرقى وعليه سنجر والقسم الغربى وعليه محمود ، ودخل الطرفان فى حرب انتهت بانتصار سنجر واعتراف الخليفة العباسى له بالسلطنة على السلاجقة . ولكن سنجر ، بعد انتصاره ، عطف على إبن أخيه محمود فصالحه وعينه ولياً لعهده وكتب بذلك إلى الولايات وللخليفة العباسى وأعاد اليه فى نفس الوقت

جميع البلاد التى كانت تحت يده ماعدا مدينة الرى التى اتخذها سنجر قاعدة له يراقب منها أعمال محمود خشية أن تحدثه نفسه بالخروج عليه مرة أخرى .

إستطاع سنجر أن يفرض شخصيته فى القسم الشرقى لدولة السلاجقة لكن القسم الغربى ظل مجالاً للتنافس بين أمراء السلاجقة عند خلو عرشه دائماً ، كما أن أجزاءه المختلفة فى فارس والعراق وآسيا الصغرى والشام يكاد كل جزء منه يكون قسماً مستقلاً يصرف شئونه دون إتصال أو تعاون بين هؤلاء الحكام ، وكانت خلافاتهم الداخلية تشغلهم عن أى هدف آخر . وكان سنجر برغم انشغاله بمحاربة الخطائيين والخوارزميين يضطر أحياناً إلى التدخل لقمع الفتن واقرار الأوضاع . لكن محاولة هؤلاء الأمراء للوصول إلى السلطة جعل الحروب قائمة بينهم طوال عهد حكمهم .

وقد أدى ذلك إلى تجرؤ أعداء الدولة على الهجوم على البلاد الاسلامية فقد أغار حاكم جورجيا على بلاد المسلمين فى آذربيجان سنة ٥١٣ ه ، كذلك هاجم الكرج البلاد الاسلامية واستولوا على مدينة تفليس .

أما الحالة فى بلاد الشام فلقد كان ضعف الفاطميين والسلاجقة والخليفة العباسى سبباً آنذاك فى نجاح الحملات الصليبية وتمكن الصليبيين من الاستيلاء على بيت المقدس وتثبيت أقدامهم فى بلاد الشام .

وفى ذلك الوقت أخذت العلاقات تسوء بين الخلافة العباسية وبين حكام السلاجقة ، ورأى الخلفاء العباسيون فى انقسام حكام السلاجقة على أنفسهم

الفرصة لاستعادة نفوذهم فى دولتهم وبدأ ذلك منذ عهد الخليفة المسترشد بالله ابن المستظهر الذى بويع بالخلافة سنة ٥١٢هـ . ووقعت الجفوة بين هذا الخليفة وبين السلطان السلجوقى مسعود ودخل الأثنان فى حرب انتهت بانتصار قوات الخليفة سنة ٥٢٠هـ واضطرار السلطان السلجوقى إلى طلب الصلح من الخليفة ، ثم خرج الخليفة لحرب السلطان السلجوقى مرة أخرى ، لكن الخيانة وقعت فى جيشه الذى كان يضم عدداً من أمراء السلاجقة ورجالهم فوقع الخليفة فى الأسر ثم إغتاله الباطنية وهو فى خيمة وضعه بها السلطان ، وبويع من بعده لولده الراشد بالخلافة وواصل الراشد صحوة الخلافة ودخل فى حرب مع مسعود استطاع الانتصار فيها إلا أنه لقى نفس مصير والده .

وبُويع الخليفة المكتفى بالخلافة وتحين الفرص لضرب قوة السلاجقة ، وكانت الأمور بعامة تسير فى غير مصلحة السلاجقة فالسلطان سنجر ينهزم أمام الخطائيين سنة ٥٣٦هـ والخلافات تزداد بين أفراد البيت السلجوقى فى فارس والعراق والسلطان مسعود تنهكه الحروب والمنازعات وتتقدم به السن . وحين توفى سنة ٥٤٧ هـ فقدت الدولة السلجوقية بفقده ركناً كبيراً وأخذت فى التداعى بعده بينما قوى جانب الخليفة وأصبح هو صاحب الكلمة العليا فى دولته وأخذ يسترد إمتيازاته .

وحين ضعف سلاطين السلاجقة برز على حسابهم قوة أتباعهم فيمن عُرفوا بالأتابكة وكان الأتابكة ذوى نفوذ كبير فى دولة السلاجقة بعامة وسلاجقة العراق

والرى .

وبمقتل طغرل الثالث سقطت دولة السلاجقة فى فارس والعراق بعد أن سيطرت على الخلافة قرابة قرنين من الزمان ، وحل النفوذ فى بغداد بعدهم للخوارزميين ، لكن الخوارزميين لم يسيطروا على الخلافة العباسية تلك السيطرة الكاملة التى سبق أن فرضها عليهم كل من البويهيين والسلاجقة .

الدولة الخوارزمية (٤٩٠ -٦٢٨هـ)

أسس الدولة الخوارزمية توشتكين أحد رجال الأتراك فى بلاط السلطان السلجوقى ملكشاه ، وكان يشغل وظيفة الساقى ، وأخذ فى الترقى فى سلك الوظائف بالبلاط السلطانى . وقد قام توشتكين بتربية إبنه محمد تربية طيبة وأدبه فأحسن تأديبه . وقد وقع إختيار أحد قادة السلطان السلجوقى بركيا روق عليه وولاه حاكماً على إقليم خوارزم ، ولقبهُ خوارزمشاه سنة ٤٩٠هـ . وأخذ محمد خوارزمشاه يعمل على تثبيت حكمه فى خوارزم ، وحكم بين الناس بالعدل وقرب اليه أهل العلم والفضل فازداد حب الناس له . ولما تولى سلطنة الأتابكة السلطان سنجر السلجوقى أقر محمد خوارزمشاه على إقليم خوارزم وأعمالها ، وكانت العلاقة طيبة بين الحاكمين مما أتاح الفرصة لمحمد أن يوسع أملاكه على حساب جيرانه بسبب شجاعته وكفايته . ولما توفى محمد خلفه فى حكم خوارزم إبنه أتسز ، الذى كان على علاقة طيبة بالسلطان السلجوقى سنجر . وقد استغل أتسز هذه العلاقة فى توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية ، منتهزاً فرصة سيطرة قبائل الخطا على بلاد ماوراء النهر وانشغال السلاجقة بمقاتلة هذه القبائل . فاستولى أتسز على خراسان وجلس على عرش

سنجر واستولى على أمواله وجواهره سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ، وقطع الخطبة والدعاء للسلطان سنجر وأعلن استقلال دولته الخوارزمية . لكن سنجر لم يستسلم فقاتل قوات أتسز ونجح بالفعل فى أن يسترد من أتسز إقليم خراسان سنة ٥٣٨هـ ، وأجبر سنجر أتسز على الاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية . وولى حكم الدولة الخوارزمية بعد أتسز إبنه تكش (ت٥٩٦هـ) . على أن الدولة الخوارزمية ازدادت قوتها وعاد لها استقلالها عن دولة السلاجقة بعد أن ضعفت الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان سنجر ، وضمت الدولة الخوارزمية اليها البلاد التابعة للسلاجقة . واستطاع علاء الدين محمد بن تكش ، الذى خلف والده فى حكم الدولة الخوارزمية سنة ٥٩٦ ه ، أن يهزم قوات آخر سلاطين السلاجقة طغرك الثالث ، على مقربة من الرى وأن يقتله فى المعركة ويرسل رأسه للخليفة العباسى ، وأن يستولى على أصفهان والرى ، آخر ما كان فى يد السلاجقة من بلاد . وبذلك قضى الخوارزميون على دولة السلاجقة فى العراق .

وقام علاء الدين خوارزمشاه بتوسيع دولته واستولى على معظم خراسان كذلك استطاع أن يهزم قبائل الخطا التركية سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م وبسط سيطرة دولته على بلاد ماوراء النهر . واستولى كذلك على إقليم كرمان ومكران ، والأقاليم الواقعة غرب نهر السند . كما استولى على ممتلكات الغور فى أفغانستان ، وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساع لها فى عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، إذ إمتدت من حدود العراق غرباً إلى حدود الهند شرقاً ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربى والمحيط الهندى جنوباً .لقد كان الخليفة العباسى الناصر يخشى بأس الدولة الخوارزمية ، لأن

خوارزمشاه كان يطمع فى بغداد فسعى الخليفة إلى تدبير المؤامرات والدسائس ضده ، بل تقاعس عن نصرته حين دهم بلاده الخطر المغولى . ولكن إذا كان الخليفة قد تقاعس عن نصرة خوارزمشاه ضد الخطر المغولى فإن ذلك كان رغماً عنه بسبب ضعفه وسوء حال الجيش العباسى آنذاك وعلى هذا لايمكننا أن نصدق مايشيعه بعض المؤرخين من أن الخليفة العباسى الناصر لدين الله حرض المغول على غزو أعدائه الخوارزميين . وقد قال هؤلاء أن السلطان الخوارزمى جلال الدين منكبرتى قدإتهم الخليفة العباسى بأنه يحرض المغول ضده ، وكيف لنا أن نصدق تلك الشائعات فى وقت يعلم فيه الخليفة أن غزو المغول للدولة الخوارزمية سوف يؤدى بالقطع إلى قرب الخطر المغولى من الخلافة العباسية وقد يهاجم المغول بغداد نفسها ، وهذا ما قد حدث بعد ذلك ، وأن الدولة الخوارزمية هى خط الدفاع الأول للعراق العباسى .

ولقد كان من سوء حظ الدولة الخوارزمية الاسلامية الكبرى أن قامت إلى جوارها دولة المغول الوثنية التى أرادت التوسع على حساب الأراضى الاسلامية . وكان لابد من المجابهة بين القوتين ، وبالفعل حدثت المجابهة ، بعد أن توافر السبب المباشر لهذه المواجهة .

فقد حدث أن وفد جماعة من تجار المغول من رعايا جنكيز خان ، كبير المغول ، إلى مدينة أترار فى الدولة الخوارزمية لشراء بعض السلع ، وكان يلى أترار هذه والى من قبل الخوارزميين هو ينال خان . وقد أرتاب ينال خان فى أمر هؤلاء التجار المغول ، فأرسل بشأنهم إلى السلطان محمد خوارزمشاه يخبره

بأمرهم ، فأمره السلطان بالقبض عليهم واعدامهم خشية أن يكونوا جواسيساً لحاكم المغول جنكيز خان . ولقد أدى هذا الحادث إلى توتر العلاقات بين الدولتين ، فأرسل السلطان الخوارزمى جواسيسه ليتبينوا له ويستطلعوا مدى قوة المغول ، فعادوا إليه وأخبروه بعظم هذه القوة مع كثرة العدد والصبر على القتال .

وقد حدث أن أرسل جنكيزخان إلى السلطان الخوارزمى يطلب منه تسليم حاكم أترار له حتى يحاكمه على ما فعل حقناً للدماء ومنعاً لوقوع الحرب بين الطرفين . إلا أن السلطان الخوارزمى رفض طلب حاكم المغول ، وزاد على ذلك فى أنه أمر بقتل رسل حاكم المغول سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨ م . وقد كلف هذا العمل الأهوج من سلطان الخوارزميين شعب خوارزم البحور من الدماء ، لأن إنتقام المغول كان شديداً وثأرهم كان فادح الثمن . ولكنا نستطيع أن نقرر أن الحرب بين الدولتين كانت لا محالة واقعة سواء حدثت مذبحة أترار أولم تقع ، ذلك لأن دولة المغول كان لابد لها وأن تتوسع على حساب الدولة الخوارزمية وكان عليها أن تجد أوتخلق أى مبرر لهذا التوسع ، وهذا ما حدث منهم بعد مذبحة أترار ، فلقد هاجمت حشودهم بلاد الدولة الخوارزمية فى أعداد كبيرة ، واتسمت غاراتهم بالوحشية والهمجية وتدمير المدن والقرى وقتل كل من يقابلهم من رجال ونساء وأطفال ، واحراق كل ما يقف فى طريقهم ويعيق حركتهم فأشاعوا الخراب والدمار والخوف والهلع فى كل مكان .

أعد جنكيزخان أربعة جيوش لمهاجمة الخوارزمية ، أحدهم بقيادة إبنه



وأحرقوا مساجد ومدارس المدينة التى أباحوها لجنودهم .

ومن بخارى إنطلقت جحافل المغول إلى سمرقند ، ودار فيها قتال شديد بين الطرفين . ولما يئس أهلها من النصر أعلنوا التسليم بعد أن أخذوا الأمان من المغول ، لكن المغول بعد أن أعطوهم الأمان طلبوا من أهل البلدة تسليم أسلحتهم وأمتعتهم ودوابهم ، ففعلوا تجنباً للقتل ، إلا أن المغول ، كعادتهم وحبهم لسفك الدماء ، نقضوا الأمان وأعملوا السيف فى رقاب الأهلين حتى أفنوهم عن آخرهم ، ودخلوا المدينة ونهبوا مافيها وأحرقوا جوامعها ومدارسها ، وكان ذلك سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠ م .

وبعد أن استولى المغول على بخارى وسمرقند جهز جنكيز خان جيشاً قوامه عشرين ألف مقاتل لتعقب خوارزمشاه ، الذى كان يتنقل من بلد لآخر وجنود المغول تطارده حتى استقر به المقام فى اقليم مازندران ، ولجأ إلى جزيرة من جزر بحر قزوين ، وظل بها وهو مريض حتى توفى بها سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ، وقبل وفاته أوصى بالسلطنة من بعده لابنه جلال الدين منكبرتى. تولى جلال الدين سلطنة خوارزم بعد أن اقتطع المغول منها أهم بلادها وهى بلاد ماوراء النهر واقليم مازندران . ثم اتجه المغول بعد ذلك للاستيلاء على مدينة الرى . وفى الطريق أسروا الملكة تركان خاتون والدة السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، وكانت قد غادرت خوارزم على أثر تهديد المغول لها ، واستولى المغول على ماكانت تحمله من مال وجواهر ومتاع .

ولقد باغت المغول مدينة الرى ، على حين غفلة من أهلها وملكوها ونهبوها وقتلوا رجالها وأطفالها وسبوا نسائها . وتقدموا بعد ذلك ، إلى همذان وقزوين واستولوا عليها عنوة ، ونال أهلها من القتل ومرافقها من التدمير مانال المدن السابقة التى سقطت تحت أقدام المغول .

وظل المغول يواصلون تقدمهم حتى وصلوا إلى تبريز واستولوا عليها ، ودخلوا فى معارك حامية مع أهالى بلاد الكرج سنة ٦١٧هـ واستولوا عليها بعد أن استولوا على بلاد ماوراء النهر جميعها . ولم يبق للمغول للقضاء نهائياً على الدولة الخوارزمية إلا السيطرة على خراسان وخوارزم .

وللاستيلاء على أقليم خوارزم وخراسان ، أعد جنكيز خان لذلك جيشين كبيرين عبر أحدهما نهر جيحون وقصد مدينة بلخ من بلاد خراسان وقصد الجيش الثانى مدينة خوارزم .

وقد نجح الجيش الأول فى الاستيلاء على مدن : بلخ ، ومرو ، ونيسابور ، وطوس ، وهراة ، وقام هذا الجيش بفظائع كثيرة يشيب لها الولدان ضد أهل هذه البلاد . والتقى هذا الجيش آخر الأمر بقوات السلطان جلال الدين منكبرتى عند غزنة ودارت هناك معركة حامية انتصر فيها خوارزمشاه وقوات الخوارزميين لأول مرة على المغول .

أما الجيش الثانى الذى اتجه إلى خوارزم فقد قوبل بمقاومة باسلة من أهلها ، ودارت بين الفرقتين معارك ضارية وصمد أهل خوارزم للقتال الذى دام

خمسة أشهر ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، واستنجدت القوات المغولية طالبة المدد من جنكيزخان فأمدهم بجيش كبير استطاعوا بواسطته أن يستولوا على خوارزم بعد عناء شديد. وبعد أن أمتلك المغول خوارزم انتقموا من أهلها ، فقتلوا كل من بقى فيها من أهلها ، وزيادة فى الامعان فتحوا ماء نهر جيحون على المدينة وأغرقوها ، وقد وصف أحد الكتاب حال خوارزم آنذاك فقال : (فمن اختفى من أهلهامن النار أغرقه الماء ، ومن سلم من الماء قتله الهدم ، فأصبح البلد خراباً يبابا كأن لم يغن بالأمس) .

لم يستسلم جلال الدين منكبرتى لهجمات المغول بل تصدى لمقاومتهم ، برغم إستيلائهم على أكثر من نصف دولته . لكن جلال الدين استطاع لم شعث جيشه المبعثر فى البلدان الخوارزمية ، وأقام فى غزنة بعد أن هزمت قواته بها قوات المغول ، لأول مرة ، واستطاع أن يجمع جيشاً قوامه ستين ألف مقاتل ، استطاع أن يقابل به جيشاً ثانياً أرسله جنكيز خان للاستيلاء على غزنة ولكن الجيش الخوارزمى إنتصر للمرة الثانية على الجيش المغولى عند غزنة ، فانهزم المغول شر هزيمة ، وقتل منهم المسلمون أعداداً كبيرة . وكان لهذا النصر أهمية كبيرة فى ذلك الوقت فى البلاد الاسلامية التى مزقتها هزائم المغول المتكررة لهم ، فارتفعت روح المسلمين القتالية ، وأدركوا أن جيش المغول كغيره جيش يُهزم ، وكان جنكيز خان يزعم أن جيشه لا يُقهر ولايُهزم .

أرسل جنكيز خان لثالث مرة ، جيشاً كبيراً إلى غزنة للقضاء على جلال

الدين وقواته الخوارزميين ، ولقد حالف النصر أول الأمر جيش الخوارزمية ، فقتلوا الكثير من المغول ولكنهم بعد ذلك انشغلوا بالغنائم وتنازع جند السلطان حولها والحرب لم تنته بعد ، وقد أدى ذلك إلى انقسام خطير في الجيش الخوارزمي عجز السلطان عن تداركه . وفارق فريق الجيش الخوارزمي المعركة بقيادة قائديدعى بغراق واتجه بقواته إلى بلاد الهند ، وحاول جلال الدين عبثاً أن يثنيه عن عزمه، فضعف بذلك جيش جلال الدين مما أعطى المغول الفرصة لاعادة تجميع قواتهم وإعادة الكرة على القوات الخوارزمية وهزيمتها هزيمة كبيرة في معركة على حافة نهر السند كمنت فيها القوات المغولية للقوات الخوارزمية فقتل الكثير منهم . وحلت الهزيمة بجيش جلال الدين، ووقع ابنه الطفل (٨ سنوات) أسيراً في يد المغول وقتله جنكيز خان بيده، كذلك أغرقت أمه وزوجته في نهر السند.

وعبر جلال الدين، بعد المعركة، نهر السند مع أربعة آلاف من رجاله متجهين الى الهند، حفاة عراة. وقد استرد المغول، بعد المعركة، هيبتهم وقوتهم واستولوا على غزنة التي كانت خالية من الجند، وقتلوا أهلها وسبوا نساءها ودمروها تدميراً وتركوها خراباً ينعق فيها البوم والغربان.

اعتزم جلال الدين استرداد قوته في بلاد الهند، فاستعان بسلطان دهلى ألتمش، لكن سلطان دهلى خاف من نفوذ جلال الدين الذى قضى في الهند ثلاث سنوات إشتبك فيها مع سلطان دهلى في عدة معارك. ولم يكن جلال الدين

يهدف من لجوئه الى الهند الالتجاء فيها ولكنه هدف تجنب الاشتباك مع المغول حتى تعود اليه قوته ويعود الى بلاده. وقد واتته الفرصة للانتقام من المغول وشن الحرب ضدهم واستعادة ملكه السليب حين مات جنكيز خان، وأعقب موته انسحبت القوات المغولية الرئيسية التى كانت تحتل أقاليم الدولة الخوارزمية الى مواطنها الأصلية.

ففي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م عبر جلال الدين نهر السند الى فارس واشتبك هناك مع المغول فى عدة معارك انتصر فيها، واستعاد كثيرا من بلاده المحتلة من القوات المغولية، فاستعاد اقاليم خوارزم وغزنة وفارس وخراسان ومازندران، على أن بلاد ما وراء النهر ظلت فى يد المغول.

على أن هذه الانتفاضة للدولة الخوارزمية لم تستمر، فسرعان ما عاد المغول الى قوتهم ووحدتهم فى عهد أقطاى الذى خلف جنكيز خان فى قيادة المغول، واستطاع بجيش كبير سار على رأسه أن ينتزع بلدان : الرى وهمذان سنة ٦٣٨هـ/١٢٣١م. وطارد المغول السلطان جلال الدين وتعقبوه فى موقان وتبريز وأذربيجان، فاتجه إلى آمد وهزم المغول هناك، وظل السلطان يتنقل من بلد الى آخر والمغول تلاحقه حتى وصل الى جبال كردستان فقتله هنالك أحد رجال الأكراد، بعد أن تعرف عليه ثأراً لمقتل أخ له على يد جلال الدين. وكان قتل جلال الدين سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، نهاية لهذا السلطان الشجاع، الذى زالت بوفاته، دولة من أعظم الدول التى حكمت أقاليم الدولة الاسلامية فى المشرق،

وهى الدولة الخوارزمية. وهى التى بسقوطها سقط الحاجز والمانع الذى كان يحمى الدولة العباسية فى العراق، وبسقوط هذا الحاجز توجه المغول، فى اعداد كالجراد، ليقضوا على الخلافة العباسية على يد هولاكو، ويهاجموا عاصمتها بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ويقتلوا أخر خلفائها فى العراق الخليفة المستعصم بالله.

الدولة الغورية
(٤٠١ - ٦١٢هـ/ ١٠١٠ - ١٢١٥م)

تقع بلاد الغور فى أفغانستان الحالية بين هراة وغزنة، وقد قامت فى هذه المنطقة دولة مستقلة اتخذت من مدينة فيروزكوه عاصمة لها. وكان الغور وثنيين حتى غزاهم السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م ونشر بينهم الاسلام.

واتصفت بلاد الغور بصعوبة التضاريس وكثرة الجبال العالية فيها، لذا استغل الغوريون وعورة بلادهم فى شن حرب العصابات منها على بلاد الدولة الغزنوية مما اضطر السلطان محمود الغزنوى الى غزو بلادهم. ولقد أعد السلطان محمود جيشاً كبيراً سنة ٤٠١هـ سار على رأسه الى بلاد الغور، والتقى هنالك بقواتهم وأوقع الهزيمة بها. وتوغلت قوات محمود الغزنوى داخل بلاد الغور والتقت هنالك بقوات أميرهم آهنكران ووقعت بين الطرفين معركة حامية انتهت بتفوق جند الغور، الأمر الذى جعل محمود الغزنوى ينسحب بقواته الى بلاده.

وظن الغور انها الهزيمة القاضية لجيش محمود الغزنوى فساروا فى أثر جيشه بقواتهم بعد أن تركوا قلاعهم وابتعدوا عن بلادهم. وكانت تلك خطة حربية رائعة من محمود الغزنوى الذى تظاهر بالهزيمة والتقهقر والانسحاب ليستدرج الغور خارج مواقعهم الحصينة ويوقع الهزيمة بهم. وبالفعل انقضت قوات محمود الغزنوى على قوات الغور وأعملت فيها السيوف وقتلت منهم أعداداً كبيرة وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً. ووقع أمير الغور آهنكران أسيراً فى يد الجيش الغزنوى، واستولى السلطان الغزنوى على قلاع الغور وحصونهم ودخلت بلاد الغور ضمن ممتلكات السلطان الغزنوى. وحرص محمود الغزنوى على نشر الاسلام بين الغور، واستخلف عليهم الفقهاء يعلمونهم أصول الدين الاسلامى.

وكان أمير الغور قد رفض أن يظل فى أسر القوات الاسلامية، فآثر أن يموت منتحراً على أن يظل أسيراً فى يد المسلمين. واتبع السلطان الغزنوى سياسة طيبة مع البيت الغورى الحاكم إذ أبقاهم فى الحكم فى ظل السيادة الغزنوية، ورفع السلطان محمود الغزنوى من شأنهم وربط بيتهم بصلة النسب ببيته.

ورغم ذلك لم يرض الغوريون، بالتبعية طويلاً للغزنويين، وآثروا الانفصال والاستقلال عنهم، وجرت عدة محاولات منهم لتحقيق ذلك. وأخذوا يتحينون الفرص المناسبة لتحقيق هدفهم. وقد واتتهم هذه الفرصة حين انشغل الغزنويون فى دفع خطر السلاجقة الزاحفين على ممتلكتهم فى اقليم خراسان، وعندما أنهك

هذا الخطر قوة الغزنويين باستيلائهم على قدر كبير من ممتلكاتهم.

وفى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م توجه أمير الغور محمد بن الحسين الى غزنة بقواته بغية الاستيلاء عليها، لكن السلطان الغزنوى بهرام شاه أحبط محاولته وهزم جنده وقبض عليه وقتله. ولقد استنكر الغوريون قتل السلطان الغزنوى لمليكهم فصمموا على الثأر له والانتقام من الغزنويين. وتولى أمر الغور بعد مقتل محمد بن الحسين أخوه الأمير سورى بن الحسين، الذى أعد جيشاً كبيراً من الغوريين توجه به الى غزنة ليستولى عليها ويثأر لمقتل أخيه. ولما اقترب سورى بقواته من غزنة ورأى بهرام شاه عظم حجم هذه القوة مع ضعف جيشه، لم يتصدى لهذا الجيش الغورى الزاحف، فغادر غزنة متوجهاً الى ممتلكات الغزنويين فى الهند حتى يتسنى له هناك جمع عدد أكبر من المقاتلين يعود ويحرر به غزنة من قبضة الغوريين.

واحتلت قوات سورى مدينة غزنة، لكن جند غزنة وأهلها ساءهم وقوع مدينتهم تحت ربقة الاحتلال الغورى وخروج مدينتهم عن حكم البيت الغزنوى، وظلوا يتحينون الفرص لطرد الغور من مدينتهم. وقد واتهتم هذه الفرصة بالفعل حينما عاد السلطان بهرام شاه الى غزنة على رأس جيش هندى كبير لاسترداد غزنة من يد الغور. ووقف جند غزنة وأهلها الى جانب بهرام شاه، ووقع قتال بين الفريقين انتهى بهزيمة سورى الغورى وقتله وهرب جنده الى بلادهم. وبعد أن حقق بهرام شاه النصر على الغوريين دخل غزنة ظافراً سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وسط

ترحيب كبير من أهلها.

تولى حكم الغوريين الأمير علاء الدين الحسين بن الحسين بعد مقتل أخيه سورى، الذى لم ينس قتل أخيه فصمم على أخذ ثأره من الغزنويين. فجهز جيشاً كبيراً سار به الى غزنة واستولى عليها. وهرب السلطان الغزنوى بهرام شاه منها الى بعض البلدان المجاورة حتى يستجمع قوته ويعود الى حاضرة دولتة. وقام علاء الدين باقرار الأمور فى غزنة، وعاد الى بلاده بعد أن أناب عنه فى حكمها أخاه سيف الدين الذى أحسن السيرة فى أهل غزنة.

ورغم ذلك، فإن أهل غزنة ظلوا على ولائهم لبيت سبكتكين ولم يأمنوا على الاطلاق، لحكم الغور وأعدوا العدة فى الخفاء للخلاص منهم ومن حكمهم. فلما كان شتاء ٥٤٧هـ/١١٥٢م استغل الغزنويون تراكم الثلوج وانقطاع الطريق، بسبب الثلج، بين غزنة وبلاد الغور مما يعرقل وصول النجدات من بلاد الغور الى غزنة، ونادوا بسلطنة بهرام شاه وأرسلوا اليه يطلبون منه الحضور لتحريرهم من حكم الغور. وبالفعل قدم بهرام شاه الى غزنة على رأس جيشه، ولما اقترب منها، قبض أهل غزنة على سيف الدين الغورى ومهدوالبهرام شاه دخول غزنة فدخلها واسترد بذلك غرنه للمرة الثانية.

ولما توفى السلطان الغزنوى بهرام شاه، خلفه فى الحكم ابنه خسروشاه، الذى واجه زحف علاء الدين الحسين بن الحسين الغورى نحو غزنة لاستردادها من يد الغزنويين. ولم يستطع خسروشاه أن يتصدى لقوات الغوريين فهرب من غزنة

الى لاهور واستقر بها وجعلها حاضرة لدولته بدلاً من غزنة. أما أمير الغور علاء الدين فقد استرد غزنة وضمها الى حوزته سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م. وانتقم الأمير الغورى من أهل غزنة لموقفهم العدائي من الغوريين وأباح مدينة غزنة ثلاثة أيام كاملة لجنده لقى خلالها أهلها أشد البلاء، وقام بنقل الكثير من أهل غزنة ممن يخشى بأسهم الى بلاده وأسكنهم بها حتى يضعف مقاومة سكان غزنة لحكم الغور ولتظل هذه المدينة الهامة تحت حكمهم.

قويت دولة الغور فى عهد أميرها علاء الدين الذى تطلع الى توسيع رقعة دولته، فاستولى على مدينة هراة من أعمال خراسان، كذلك استولى على بلخ بعد حصارها. إلا أن سيادة الغوريين على خراسان لم تستمر طويلاً بسبب تدخل السلطان السلجوقى سنجر الذى استعاد بلخ من أيديهم ومنعهم من التعرض لخراسان بعد وقوع معركة حامية بينهما هزم فيها الغوريون ووقع أميرهم أسيراً فى يد السلطان سنجر، الذى قام بالعفو عنه واعادته الى فيروزكوه.

لما توفى علاء الدين الحسين الغورى سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م، خلفه فى حكم الغور الأمير غياث الدين محمد، وأقيمت له الخطبة فى غزنة. لكن الغور فقدوا السيطرة على غزنة وخرجت من تحت أيديهم بسبب إستيلاء الأتراك الغز عليها وطردهم الغور منها، واستمرارها فى أيديهم مدة خمس عشرة سنة.. وفى خلال تلك المدة كان الأمير غياث الدين الغورى يعد العدة ويجمع الجيش لاسترداد غزنة من الغز. وبالفعل سار غياث الدين الى غزنة ومعه أخوه شهاب الدين،

واشتبكت قواتهم مع قوات الغز فى معركة حاسمة انتصروا فيها وطردوا بقايا الغز من غزنة بعد أن استردوها تماماً.

لم يكتف الأمير غياث الدين الغورى باسترداد غزنة من الغز، بل عقد العزم على امتلاك البقية الباقية من الدولة الغزنوية لتوسيع دولته الناشئة واستئصال شأفة آل سبكتكين حتى يضمن لدولته الأمان والاستقرار. وبالفعل أرسل جيشاً نجح فى ضم بلدان الغزنويين غير الهندية، ثم عبر شهاب الدين الغورى نهر السند واتجه الى لاهور، قاعدة آخر السلاطين الغزنويين، وحاصرها وأرسل شهاب الدين الى خسرو شاه وأهل لاهور يعرض عليهم الاستسلام بعد أن أعطاهم الأمان. لكن خسرو شاه وأهل لاهور أصروا على المقاومة، ودخلت القوتان فى معركة انتهت بهزيمة قوات الغزنويين، فأرسل السلطان الغزنوى يطلب الأمان من الأمير الغورى فأجابه شهاب الدين الى طلبه، ودخل الغور لاهور وقبضوا على خسرو شاه. وبذلك فقدت الدولة الغزنوية آخر معاقلها وزالت الدولة الغزنوية فى الهند وغير الهند، وامتد ملك الغور فى أفغانستان والهند على أنقاض الدولة الغزنوية.

ولقد اتسع ملك الغور، وتلقب أميرهم بلقب سلطان، واعترف الخليفة العباسى لسلطان الغور بالصفة الشرعية لحكمه على البلاد التى صارت تحت يده ولقبه بلقب : غياث الدين والدنيا، معين الاسلام قسيم أمير المؤمنين.

وقام سلطان الغور بتوسيع ممتلكاته فاستولى على مدن هراة، وبوشنج،

وبادغيس وبعض البلدان المجاورة لها فى اقليم خراسان.

ويرجع الى الغور الفضل فى توطيد دعائم الحكم الاسلامى فى شمال الهند، وكان الغزنويون قد سبقوهم فى فتح هذه البلاد وحكمها، إلا أن سياستهم هناك اختلفت عن سياسة الغوريين فإن الغزنويين قصدوا من فتح شمال الهند الحصول على خيرات هذه البلاد الوفيرة، أما الغوريون فقد استقروا فى هذه البلاد وجعلوها جزءاً من دولتهم واحتفظوا لها بثرواتها وعملوا على كسب أهاليها واشراكهم معهم فى الوظائف والجيش فضلاً عن الاهتمام بتركيز نشر الاسلام بينهم والتوسع فى نشر الثقافة الاسلامية فى هذه البلاد.

ولقد كان شمال الهند هو المسرح الوحيد لتوسعات الغوريين وتطلعاتهم الى توسعة دولتهم، ولم يكن فى استطاعة الغوريين التوسع فى وسط آسيا حيث الدولة الخوازمية وقبائل الخطا التركية القوية اللذان حالا بينها وبين التوسع فى أراضيها. فلم يكن أمامهم إلا شمال الهند بعد أن دخلوا فى صراع مع الغزنويين، وبعد أن نقل الغزنويون مقر دولتهم الى لاهور وأخذوا فى العمل على تقوية أمرهم لاسترداد البلاد التى انتزعها الغور منهم فى أفغانستان. فكان من الضرورى للغوريين أن يقضوا تماماً على آخر معاقل الغزنويين فى الهند حتى يؤمنوا دولتهم من انتقام الغزنويين.

ولقد كانت الفرصة مهيئة للغوريين للسيطرة على شمال الهند بعد أن أضعفت الخلافات والانقسامات أمراء الهند وأنهكت قواهم ولم يعودوا قوة

موحدة تواجه زحف الغوريين. كذلك فإن رغبة الغوريين فى نشر الاسلام فى شمال الهند كانت من أهم الدوافع لهؤلاء الغوريين، حديثى العهد بالاسلام، فى الجهاد ونشر الاسلام فى بلاد لا يزال معظم أهلها على الوثنية.

ولقد انقسم القسم الشمالى من الهند، حين شرع الغور في الزحف عليها، الى ممالك متعددة مستقلة ومنقسمة على نفسها، فهناك مملكة البنجاب، وكانت تحت حكم السلطان الغزنوى خسرو شاه، آخر سلاطين الغزنويين. ومملكة الملتان، وتحكمها أسرة اسماعيلية من القرامطة، وإمارة السند وتحكمها أسرة سمارس الهندية، يضاف إلى ذلك إمارات صغيرة يحكمها أمراء هنود من جماعة راجبوت، من أهمها : مملكة دلهى وآجمير، ومملكة قنوج، ومملكة جواجرات ومملكة بندلخاند، ومملكة بهار، ومملكة البنغال، ويسمى هذا القسم بمنطقة هندوستان، وهو يحوى عدد كبير من السكان ويعُد أخصب بقاع الهند وأكثرها إنتاجاً فى الزراعة.

واذا ما تتبعنا غزو الغور لشمال الهند، نرى أن هذا الغزو بدأ فى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م على يد السلطان غياث الدين محمد، الذى سار إلى الملتان واستولى عليها، ثم ضم الى دولته مدينة بشاور. ثم واصل تقدمه فى أرض السند، ولم يستطع مليكها وقف زحف الغور عليها، واستولوا عليها. ثم توجه بعد ذلك السلطان غياث الدين الى لاهور وتصدى له هنالك سلطان الغزنويين خسروشاه الذى أوقع الهزيمة بالغوريين، فترك غياث الدين لاهور واتجه الى مدينة

سيالكوت واستولى عليها واتخذها قاعدة لشن غاراته على لاهور. ونجحت محاولات غياث الدين المتكررة فى اسقاط لاهور فى يده، وبسقوط لاهور اكتملت سيطرة الغور على كل اقليم البنجاب والسند.

ولقد نبهت انتصارات الغور أمراء شمال الهند الراجبوتيين الى هذا الخطر الزاحف على بلادهم، فاجتمعوا سوياً بعد أن تناسوا خلافاتهم، واتحدوا وكونوا جيشاً موحداً لطرد القوات الغورية من شمال الهند. وبالفعل وقعت معركة كبيرة بين الطرفين عند بلدة تارين هُزم الغور فيها، وجُرح سلطان الغور غياث الدين فى المعركة وانسحب بما تبقى من قواته. وكرر غياث الدين المحاولة فجمع جيشاً كبيراً بلغ عدده مائة وعشرين ألفاً سار على رأسه فى العام التالي، ونشبت معركة ضارية فى نفس مكان المعركة السابقة، وبرغم تفوق الهنود العددى واستخدامهم الأفيال فى القتال، إلا أن الغوريين انتصروا عليهم وقتلوا الآلاف منهم وغنموا منهم مغانم كثيرة. وكان للمعركة الأخيرة فى شمال الهند آثارها الطيبة بالنسبة لحكم الغور فى شمال الهند، اذ أدت الى تقلص نفوذ وسلطان الراجبوتيين فى هذه البلاد، كما أدى الى دخول المزيد من البلاد تحت سيطرة الغوريين، فضلاً عن دخول عدد كبير من الهنود فى الاسلام. وقد قام ملك الغور بتحطيم الأصنام فى هذه البلاد ومعابدها وشيد مكانها المساجد والمراكز العلمية لتعليم الهنود تعاليم الاسلام والشريعة. ويذكر المؤرخون ان هذه المعركة تعتبر من المعارك الحاسمة فى التاريخ عامة وتاريخ الهند خاصة، لأنها أرست أسس الحكم الاسلامى فى هذه البلاد ورسخت أقدام الاسلام فيها.

وبعد هذه المعركة، أصبح الطريق مفتوحاً أمام الغوريين للاستيلاء على دهلى، (دلهى) درة بلاد شمال الهند، وفعلاً تمكن الغور من ضمها اليهم بعد أن ضعفت مقاومة أمراء شمال الهند، بل تكاد تكون انعدمت، فاستولى عليها الغوريون بسهولة.

ولما استقرت الأمور للسلطان شهاب الدين محمد الغورى الذى خلف أخاه غياث الدين فى الحكم فى شمال الهند، عاد الى غزنة بعد أن ترك على شمال الهند مملوكه قطب الدين أيبك يحكمها نيابةً عنه، وقد أمره السلطان باقرار العدل والمساواة بين الأهالى واعلاء كلمة الاسلام فى تلك البلاد. وقد جعل غياث الدين دهلى قاعدة لحكمه فى شمال الهند بدلاً من لاهور.

على أن الأمراء الهنود، انتهزوا فرصة مغادرة السلطان غياث الدين الى غزنة واتحدوا وكونوا جيشاً لطرد الغور، لكن جيش الغور هزمهم فى معركة كبيرة فى شاندوار سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، وبعد ذلك زحف جيش الغورعلى بنارس واستولى عليها وقتل أمير قنوج. وبعد هذه المعركة التى فشل فيها أمراء الهند فى استرداد بلادهم من الغوريين، لجأ هؤلاء الأمراء الى صحراء راجيوتانا، التى حملت اسمهم.

وقد قام الوالى الغورى قطب الدين ايبك، بعد ذلك، بتوسيع رقعة دولة الغور فى الهند، فاستولى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م على جاولار ونهروالة، وفى سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م استولى على كالنجار. وبذلك تمت للغوريين السيطرة على

كل بلاد شمال الهند.

وفى نفس الوقت أرسل الوالى الغورى أيبك قائده محمد بن بختيار الخلجى فى قلة من الجند فاستولى على يندنبتورى عاصمة اقليم بهار الذى كانت تحكم فيه أسرة بالا Pala، وسرعان ما استولى على مملكة بالا جميعها وحوّل أهلها من البوذية الى الاسلام بعد أن حطم معابدهم وأصنام بوذا. واتجه الخلجى، بعد ذلك، الى مدينة ناديه، عاصمة البنغال، الذى كانت تحكم فيه أسرة سنا واستولى عليها سنة ٥٩٥هـ/١١٩٧م وقد يسر سقوط عاصمة البنغال للغوريين الاستيلاء على كل اقليم البنغال. وقد حاول الخلجى فتح بلاد التبت سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، لكن محاولته فشلت، وما لبث أن توُفى بعد ذلك بقليل.

وقد حاولت بعض الولايات الهندية، فى مستهل القرن السابع الهجرى، الاستقلال على حكومة الغور، منتهزة انشغال الغور بالحروب فى فارس، لكن الغور نجحوا فى افساد هذه المحاولات وكان أبرز هذه المحاولات تلك الثورة التى قامت بها قبائل الكهكوية في الملتان لكن شهاب الدين محمد الغورى قضى على ثورتهم بنفسه.

وهكذا نجح سلاطين الغور فى اقامة دولة اسلامية كبيرة فى شمال الهند، ومهدت سياستهم فى بلاد الهند الى قيام امبراطورية اسلامية فيها، ولقد أسند الغوريون الى الرجال الأكفاء من الهنود الاشتراك فى الادارة وفى الوظائف العامة والجيش، فعمل هؤلاء باخلاص على تثبيت الحكم الاسلامى فى هذه

البلاد. ولقد حرص حكام شمال الهند خلفاء شهاب الدين من مماليك الترك، على اتباع التقاليد التى وضعها سيدهم فى حكم الهند، لذلك يمكن القول بأن شهاب الدين الغورى هو بحق واضع أساس امبراطورية المسلمين فى الهند وأهم من أرسى قواعد الاسلام فى تلك البلاد.

ولقد كان عهد حكم السلطان غياث الدين محمد ومن بعده السلطان شهاب الدين محمد الغورى، من أزهر عصور الحكم فى الدولة الغورية، إلا أن الأمور لم تستقر على حالها فى هذه الدولة، شأنها فى ذلك شأن الدول التى تتعرض فى حياتها الى البداية ثم القوة والازدهار ثم يأتى الضعف والتدهور ثم النهاية. فدولة الغور لم تظل على حالها من القوة، فقد أخذت فى الضعف عقب وفاة السلطان شهاب الدين محمد الغورى، بسبب الآفة الكبرى التى أصابت الدول الاسلامية، وهى آفة تنافس الأمراء والقواد وصراعهم حول عرش السلطنة بعد وفاة أقوى حكامها. وبسبب هذا الصراع وقعت حروب كثيرة فى الدولة أنهكت قوى الدولة الغورية وأضعفتها حتى زالت فى النهاية.

فلما توفى شهاب الدين محمد، تنافس حول السلطنه غياث الدين محمود، نجل السلطان غياث الدين محمد، يساعده فى ذلك أقوى قواد الغور تاج الدين يلدز، كذلك علاء الدين وجلال الدين أبناء بهاء الدين الغورى صاحب باميان. ولقد قام الأخوان علاء الدين وجلال الدين بدخول غزنة وانتزاع قلعتها، منتهزين فرصة تغيب غياث الدين محمود فى خراسان. لكن يلدز ما لبث أن

دخل المدينة بقواته واستولى على قلعتها وأخرج الأخوين الأميرين منها ومن غزنة ذاتها. وكان يلدز قد عظم أمره بعد أن استولى على كل ما فى معسكر سيده شهاب الدين من جند ومال وسلاح. ولم يعمل يلدز لسيده الجديد غياث الدين محمود، ولم يأمر بالخطبة له فى غزنة وإنما أمر بالخطبة للخليفة العباسى فقط والترحم على روح سيده شهاب الدين.

أما غياث الدين محمود فقد تربع على عرش السلطنة فى فيروزكوه، وسلك طريق أبيه فى الاحسان والعدل بين الرعية. وقد حاول أن يسترد بلاد خراسان التى كان قد اقتطعها الخوارزميون من دولته لكنه لم يفلح فى ذلك. وقد أرسل قطب الدين أيبك، نائب السلطان غياث الدين محمود الغورى فى الهند يطلب من يلدز أن يعود لطاعة سيده غياث الدين محمود وأن يقيم الخطبة له فى غزنة، إلا أنه لم يفعل، فثار عليه أحد قواده ويدعى أيدكز واستطاع أن يهزمه ويخرجه من غزنة ويقيم الخطبة فيها للسلطان غياث الدين محمود، فأنعم عليه السلطان الغورى بلقب (أمير الأمراء). وسار بعد ذلك السلطان غياث الدين الى بُست واستردها من يلدز وأحسن الى أهلها.

ولقد أضعفت هذه الانقسامات والحروب دولة الغور، وأعطت الفرصة لسلطان خوارزمشاه فى أن ينتزع البقية الباقية من ممتلكات الغور فى أفغانستان. ولقد أمر السلطان الخوارزمى عامله على هراة بقصد صاحب الغور ومهاجمة فيروزكوه عاصمة مملكة الغور فسار القائد الخوارزمى اليها فى جيش

كبير، ولما رأى سلطان الغور غياث الدين محمود عظم عسكر الخوارزميين وضعف قواته فى التصدى لها طلب الأمان من القائد الخوارزمى على أن يسلم له العاصمة فيروزكوه، فأمنه القائد الخوارزمى، ونزل سلطان الغور اليه من القلعة، لكن القائد الخوارزمى نكث بالعهد وقبض على السلطان الغورى وقتله، وضم بلاد الغور الى الدولة الخوارزمية وكان ذلك سنة ٦٠٥هـ.

واستولى سلطان خوارزم (علاء الدين محمد) بعد ذلك على كافة أرجاء خراسان، وانتزع باميان من الأميرين الغوريين علاء الدين وجلال الدين. واستولى على غزنة، واستناب عنه يلدز فى حكمها فأقام له الخطبة من على منابرها ونقش اسمه على السكة. غير أن سلطان خوارزم لم يطمئن لولاء يلدز وأعوانه وخاف من انقلابهم عليه بعد مغادرته غزنة.

فسار بنفسه سنة ٦١٢هـ الى غزنة وأزال يلدز عن حكمها. وقد هرب يلدز إلى لاهور وهنالك اغتاله بعض رجال شهاب الدين الغورى لخيانته للغوريين. وبدخول سلطان خوارزم غزنة وانهاء حكم الغوريين عليها على يد الخوارزميين، انتهى حكم الدولة الغورية التى كانت من أحسن الدول سيرة وأكثرها جهاداً ونشراً للاسلام.

سلطنة دلهى (دهلى) الاسلامية
(٦٠٣ - ٩٣٢هـ/ ١٢٠٦ - ١٥٢٦م)

سلطنة دلهى مملكة اسلامية مستقلة، قامت فى شمال وشمال غربى الهند، وحكمها سلسلة من الحكام الأفغان من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى حتى العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى. كانت دلهى هى عاصمة هذه الدولة العسكرية، التى وصلت بفضل كفاءتها العسكرية حتى وسط وجنوب الهند، وشجعت التجارة والصناعة وأسهمت فى التطور الثقافى للبلاد.

ولقد كان حكام هذه الدولة من الأرقاء المماليك الذين ربوا تربية عسكرية، مثل مماليك مصر، وورثوا دولة الغور التى كانت تحكم الهند كما ورث مماليك مصر حكم اسيادهم الأيوبيين. ولقد كان سلاطين امبراطورية المماليك فى الهند أرقاء من أجناس مختلفة ووصلوا الى ما وصلوا اليه بفضل كفاءتهم وشجاعتهم العسكرية.

وقطب الدين أيبك، أول سلاطين هذه الدولة كان فى الأصل مملوكاً عند سيده محمد شهاب الدين، سلطان دولة الغور الأفغانية (٥٩٩ - ٦٠٢هـ/ ١٢٠٣ - ١٢٠٦م)، وهو أصلاً من منطقة التركستان الروسية، إشتراه من تجار الرقيق قاض نيسابور ورباه وعلمه علوم الدين وأساليب الفروسية، ولما توفى هذ القاضى باعه تجارالرقيق فى غزنة للسلطان شهاب الدين الغورى الذى أعجب بشجاعته وذكائه وحسن خلقه. وقد تجلت شجاعة قطب الدين فى معركة تارين

(٥٨٨هـ - ١١٩٥م) التى وقـعت بين السلطان الغـورى وأمـراء الهند الراجبوتيين، وانتهت بانتصار شهاب الدين، فكافأ شهاب الدين قائده قطب الدين بأن جعله نائبه على ما وقع فى يد الغوريين من بلاد الهند، فأقام فى دلهى وجعلها قاعدة لحكمه فى بلاد الهند بدلاً من لاهور.

ولقد قام قطب الدين بتوسيع دولته بضم بلاد البنغال اليها واخضاعها اخضاعاً تاماً لحكمه. وظل قطب الدين أيبك على ولائه لدولة الغور ولسلطانها شهاب الدين حتى وفاته، فلما توفى سنة ٦٠٢هـ وخلفه غياث الدين محمود فى السلطنة أعلن ولائه له وحارب من خلع طاعته ومنهم قائد شهاب الدين تاج الدين يلدز حاكم غزنة، الذى قام بطرده من غزنة وضمها الى مملكة الغور. على أن يلدز لم يركن للهزيمة وانتهز فرصة سقوط غزنة فى يد الخوارزميين فعاد للسيطرة عليها وحكمها باسم سلطان خوارزم، لكن سلطان خوارزم شك فى ولاء يلدز فهرب الى البنجاب وانتزعها من نائب قطب الدين أيبك. فسار أيبك اليه ومازال يطارده حتى ترك الهند. وبذلك انفرد قطب الدين أيبك بحكم الاقليم الاسلامى فى الهند واعلن نفسه سلطاناً فى لاهور، واقيمت له الخطبة هناك، ونقش إسمه على السكة واتخذ من دلهى قاعدة لدولته. ويعتبر قطب الدين أيبك أول سلطان مسلم ينشىء دولة مستقلة لمسلمى الهند، حكم مدة عشرين عاماً وطد فيها النفوذ الاسلامى فى هذه البلاد وعمل على نشر الالسلام فى بقية أجزاء شبه القارة الهندية. ولقد اتصف حكم هذا السلطان بالعدل والمساواة وساد البلاد الأمان فى عهده والاصلاح. وقد عنى قطب الدين بالعمارة، ومن أبرز ما فعله مسجده

المشهور الذى شرع في تشييده (٥٨٨هـ/١١٩١م) وأتم السلطان التمش بناءه سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م، ولاتزال منارة المسجد باقية حتى الان، وهى تعرف بمنارة قطب الدين. وبجوار المسجد بنى قطب الدين مدرسة كبيرة عُرفت باسمه.

توفى قطب الدين أيبك ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، وخلفه فى الحكم قائده التمش، شمس الدين، وهو من مماليك شهاب الدين الغورى وزوج ابنة قطب الدين، بسبب صغر سن آرام شاه ابن قطب الدين. وقد تسلم التمش مقاليد الحكم فى لاهور سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م. ويعتبر التمش من أهم حكام سلطنة دلهى بعد قطب الدين أيبك، لأنه وطد أركان الدولة وقضى على الاضطرابات التى وقعت بها بعد وفاة قطب الدين، فضلاً عن توسعه فى الفتح فى شبه القارة الهندية.

ومن أهم الأخطار التى تعرضت لها سلطنة دلهى فى عهد هذا الحاكم خطر المغول، الذين كانوا فى حرب آنذاك مع الخوارزميين، وقد هرب سلطان الخوارزميين من أمامهم الى شمال الهند وطلب الالتجاء هناك من سلطان دلهى، لكن سلطان دلهى خاف من تدخل المغول فى أمور دولته وارسال قواتهم لمهاجمتها. ولذلك تخلص السلطان التمش من هذا الخطر حين غادر جلال الدين منكبرتى سلطان خوارزم شمال الهند عائداً الى بلاده بعد انحسار هجوم المغول على مملكة خوارزم بعد وفاة زعيم المغول الكبير جنكيز خان وانسحاب القوات المغولية الرئيسية التى تحتل أقاليم الدولة الخوارزية الى مواطنها الأصلية سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م.

ولم يكد السلطان يلتمش يتخلص من خطر الخوارزمية والمغول حتى انشغل بخطر آخر، وقد كان هذا الخطر هذه المرة خطراً داخلياً ألا وهو خروج غياث الدين الخلجى، واليه على البنغال، عليه واعلانه استقلاله عن دلهى واقامة الخطبة باسمه ونقش اسمه على السكة. ولقد نجح التمش فى افشال هذا الاستقلال، بعد هزيمة الخلجي، واعادة البنغال الى تبعية الدولة.

ولقد تبع ثورة الخلجى ومحاولته الانفصالية عن سلطنة دلهى ثورة أخرى قام بها القائد ناصر الدين قباجة فى بلاد السند، لكن السلطان التمش قضى على هذه المحاولة أيضاً. واتخذ حكم التمش الصبغة الشرعية حين أرسل اليه الخليفة العباسى المستنصر بالله تقليداً بحكم دولة الاسلام فى الهند سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، ولقبه بناصر أمير المؤمنين، الأمر الذى أكسبه محبة واحترام رعاياه المسلمين وكان له أكبر الأثر فى تقوية دولته وفى القضاء على باقى المحاولات الاستقلالية التى قام بها أمراء الهند عن سلطنة دلهى.

توفى التمش سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، وبوفاته ضعفت الدولة بسبب ضعف السلاطين الذين تولوا سلطنة دلهى بعده وقيام النزاع الشديد بين كبار القواد حول الاستئثار على الحكم.

وكان أقوى هؤلاء السلاطين الذين حكموا بعد التمش، السلطان علاء الدين مسعود، حفيد التمش، الذى حكم فى الفترة ما بين (سنوات ٦٩٦ - ٧٥٢هـ/ ١٢٩٦ - ١٣١٦م)، والسلطان محمد طغلق الذى حكم فى الفترة

مابين (٧٢٥-٧٥٢هـ/ ١٣٢٥-١٣٥١م) لما قاما به من فتوح فى أجزاء من جنوب الهند ومحاربتهما للمغول.

وكانت رضية ابنة السلطان التمش هى التى تولت الحكم من بعده، ثم تولى من بعدها بهرام شاه بن التمشى، الذى عُزل عن الحكم سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م، ووُلى مكانه علاء الدين مسعود، حفيد التمش، وهو شاب فى السادسة عشرة من عمره.

ولما ولى علاء الدين السلطنه واجه مشاكل داخلية وخارجية معقدة فبلاده هدف لغزوات المغول من الشمال الغربى سنوياً، وعادة ما يقترن هذا الغزو بالخراب والدمار والاستيلاء على جزء من البلاد، كذلك حركات التمرد الداخلية من المعارضين لحكمه وبخاصة فى اقليم الملتان والسند والبنغال. وبذلك ولى علاء الدين السلطنه فى وقت تفككت فيه الدولة الاسلامية فى الهند وانفصل عنها الكثير من أقاليمها، وكان عليه ان يعمل على وحدة البلاد وهذا ما نجح فيه بعد ان خاض حروباً كثيرة مع أمراء هذه الامارات المستقلة عن دولته.

وبعد ان نجح علاء الدين فى القضاء على محاولات الأمراء الهنود الاستقلالية وأعاد وحدة البلاد تصدى للغزو المغولى واحرز على المغول انتصارات باهرة، أغرته بمواصلة الغزو والفتح ونشر الاسلام فى جنوب الهند. ولقد توفى السلطان علاء الدين مسعود سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م بعد حكم زاهر لشمال الهند وبعد جهود جبارة بذلها لفتح أقاليم جديدة فى شبه القارة الهندية أمام الاسلام

ونشر هذا الدين بين أهله الوثنيين البوذيين.

تولى السلطان محمد طغلق سلطنه دلهى، بعد قتل السلطان خسرو شاه الخلجى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م وانتقال الحكم فى سلطنة دلهى من الخلجيين إلى بنى طغلق.

واستطاع محمد بن طغلق ان يقضى على المؤامرات التى حيكت ضد حكمه ونجح فى قمعها، كذلك حارب المغول الذين هاجموا بلاده واستطاع الانتصار عليهم فى عدة معارك الا انهم استطاعوا ان يقتطعوا جزءاً من بلاده منتهزين فرصة انشغاله بالقضاء على الفتن والمؤامرات فى داخل الدولة التى بذل جهداً كبيراً فى القضاء عليها. ولقد توفى السلطان طغلق سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٥١م دون ان يترك وريثاً ذكراً فولى السلطنة بعده ابن عمه فيروز طغلق الذى أحسن السيرة فى الناس، ورغم ذلك واجهته الثورات الداخلية، فقد ظلت البنغال على تمردها والرغبة فى الاستقلال، كذلك قامت جماعات الزط بحركات تمرد وعصيان، كذلك بلاد الدكن.

وظلت سلطة دهلى تعيش الوضع المضطرب بقية حكم سلاطينها، وتتعرض باستمرار للهجمات المغولية، وقد نجح المغول فى كسر دفاعات سلطنه دهلى حين قام يتمورلنك سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م بفتح دلهى وتدمير السلطنه. وظلت سلطنة دلهى منقسمة إلى مقاطعات صغيرة انتشرت حول دلهى حكم كل منها أمير مستقل، وظلت كذلك حتى اكتسحها سلطان المغول بابر سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م وضمها جميعاً إلى دولة المغول.

انتهى من أصل المصدر